المرأة في الرواية العبرية في روسيا القيصرية

د / عبد الله محمد الدوسري

مدرس اللغة العبرية

جامعة الكويت

أولا: مقدمة: المرأة في المصادر اليهودية التراثية:

من البديهي أن نقدم بين يدي هذا البحث المنصدي لمناقشة صورة المرأة اليهودية التي يقدمها لنا كتاب الرواية العبرية في القرن التاسع عشر، فكرة موجزة، ولكن واضحة، عن وضع المرأة في المصادر اليهودية القديمة.

وظيفة المرأة ومكانتها:

١- في الأسرة:

إن وظيفة المرأة الأساسية، كما أوردها الكتاب المقدس، هي أن تكون زوجة وأما. فالزوجة عليها أن تهب زوجها نفسها من أجل متعته وعليها بالتالي أن تكون وسيلة للإنجاب أيضا بغية المحافظة على استمرارية اسم الرجل. أما دورها أمّا فيتلخص في تنمية العلاقة بينها وبين أبنائها وتوثيقها والتي تتجلى منذ مراحلها الأولى بعمليتي الإرضاع والحضانة[١]. وفي "سفر التكوين" أن السبب الرئيسي وراء خلق الله الجنسين الذكر والأنثى، هو أن يتكاثر الجنس البشري[٢]. كما نقرأ في السفر نفسه أن وظيفة المرأة الأساسية هي إنجاب الأطفال[٣] وعلى هذا فقد كان العقم مدعاة للتوبيخ والتعزير، كما ينظر إلي العقم على أنه عقاب من الخالق[٤] لأن الأبناء هم البركة الممنوحة من الله ووجودهم يضمن الديمومة

---

[1] O.J. Baab, Woman in the interpreter Dictionary of the Bible, NewYork, 1979, P. 866

[٢] اصحاح رقم: ١، الآيات، ٢٦- ٢٨.

[٣] اصحاح رقم آية: ١٦.

[4] C.M. Brey Fogle. سفر التكوين اصحاح رقم: ٣٠، آية رقم: ٢٣ وانظر أيضا صموئيل (١)، اصحاح رقم: ١ وانظر أيضا The Social Status Of Women In The Old Testament In Bidical World, Chicage, 1910, VOL 35, P.110

مع أختها "ليئة" ما يوضح مدى تأثير قضية القدرة على إنجاب الأطفال أو عدمها على مكانة المرأة في الأسرة اليهودية[٦].

وفي حالة وجود أبناء فإن الأم هي التي تتولى مسئولية توجيه أبنائها إلى ما يجب عليهم اتباعه من قواعد السلوك وكذلك توثيق علاقتهم بالله. لذلك فإن الأم في المراحل الأولى من أعمار أبنائها تكون أكثر انشغالا من الأب بتنشئة أبنائها الدينية المبكرة[٧]. حتى إذا كبر هؤلاء الصغار، تولى الأب توجيه الأولاد[٨]. بينما تستمر الأم في متابعة مسئوليتها في توجيه البنات إلى أن يتزوجن[٩].

٢ – في الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

كانت مساهمة المرأة في الحياة الاجتماعية، فالكتاب المقدس يشير إلى حضور النساء في الأعراس وفي الجنائز ، وكذلك في مناسبات أخرى ذات طبيعة اجتماعية . فعندما قتل شاؤول[١٠] ويهونتان[١١]، على سبيل المثال ، ناحت عليهما النساء[١٢].

---

(٦) سفر العدد ، إصحاح رقم ٢٧ آيه رقم ٤.

(٧) سفر التكوين ، إصحاح رقم ١٦ ، الآيات : ٢-٦ . وانظر أيضا اصحاح رقم ٣٠ ، الآيات ١٠ وكذلك ٢٢-٢٤ .

(٨) سفر الأمثال ، إصحاح رقم ١٠ آية رقم ٨

(٩) سفر التكوين ، اصحاح رقم ١٨ ، آية ١٩ ، وانظر أيضا سفر الخروج اصحاح رقم ١٢ ، الآيات : ٢٦-٢٧، وكذلك اصحاح رقم ١٣ ، الآيات : ١٤، ١٤، ١٥ . وانظر كذلك سفر التثنية اصحاح رقم ٦، آية ٧.

(١٠) سفر يهذا ، اصحاح رقم ٧، آيه ٦ وانظر أيضا A. Rainey-Family in Encyclopaedia Judiaca. Jerusalem. 1972, vol. 16, col. 1167.

(١١) هو أول ملوك بني اسرائيل . وقد نصبه عليهم النبي صموئيل . قتل هو وأبناؤه الثلاثة في معركة مع الفلسطينيين تعرف بمعركة جبل جلبوع.

(١٢) هو أكبر أبناء شاؤول وأعلاهم قدرا في نفوس العامة من بني اسرائيل ، لما كان يتمتع به من شجاعة عظيمة ووفاء نادر للصديق ، قتل مع أبيه وأخوته . كما تقدم في معركة "جبل جلبوع"

(١٣) صموئيل (٢) اصحاح رقم ١ ، الآيات ١٧-٢٧ انظر أيضا : O. J. Baab Op. Cit. P. 865.

لاسم الأسرة[٥]. ولعل في قصة السيدة "هاجر"، وكذلك قصة "راحيل" مع أختها "ليئة" ما يوضح مدى تأثير قضية القدرة على إنجاب الأطفال أو عدمها على مكانة المرأة في الأسرة اليهودية[٦].

وفي حالة وجود أبناء فإن الأم هي التي تتولى مسئولية توجيه أبنائها إلى ما يجب عليهم اتباعه من قواعد السلوك وكذلك توثيق علاقتهم بالله. لذلك فإن الأم في المراحل الأولى من أعمار أبنائها تكون أكثر انشغالا من الأب بتنشئة أبنائها الدينية المبكرة[٧]. حتى إذا كبر هؤلاء الصغار، تولى الأب توجيه الأولاد[٨]. بينما تستمر الأم في متابعة مسئوليتها في توجيه البنات إلى أن يتزوجن[٩].

٢ – في الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

كانت مساهمة المرأة في الحياة الاجتماعية، فالكتاب المقدس يشير إلى حضور النساء في الأعراس وفي الجنائز ، وكذلك في مناسبات أخرى ذات طبيعة اجتماعية . فعندما قتل شاؤول[١٠] ويهونتان[١١]، على سبيل المثال ، ناحت عليهما النساء[١٢].

---

(٥) سفر العدد ، إصحاح رقم ٢٧ آيه رقم ٤.

(٦) سفر التكوين ، إصحاح رقم ١٦ ، الآيات : ٢-٦ . وانظر أيضا اصحاح رقم ٣٠ ، الآيات ١ وكذلك ٢٢-٢٤ .

(٧) سفر الأمثال ، إصحاح رقم ١ آية رقم ٨

(٨) سفر التكوين ، اصحاح رقم ١٨ ، آية ١٩ ، وانظر أيضا سفر الخروج اصحاح رقم ١٢ ، الآيات : ٢٦-٢٧، وكذلك اصحاح رقم ١٣ ، الآيات : ٨، ١٤، ١٥ . وانظر كذلك سفر التثنية اصحاح رقم ٦، آية ٧.

(٩) سفر مبخا ، اصحاح رقم ٧، آيه ٦ وانظر أيضا A. Rainey-Family in Encylopaedia Judiaca. Jerusalem. 1972. vol. 16. col. 1167.

(١٠) هو أول ملوك بني اسرائيل . وقد نصبه عليهم النبي صموئيل . قتل هو وأبناؤه الثلاثة في معركة مع الفلسطينيين تعرف بمعركة جبل جلبوع.

(١١) هو أكبر أبناء شاؤول وأعلاهم قدرا في نفوس العامة من بني اسرائيل ، لما كان يتمتع به من شجاعة عظيمة ووفاء نادر للصديق ، قتل مع أبيه وأخوته . كما تقدم في معركة "جبل جلبوع"

(١٢) صموئيل (٢) اصحاح رقم ١ ، الآيات ١٧-٢٧ انظر أيضا : O J Baab OP. Cit. P 865.

كذلك حظيت نشاطات المرأة الاقتصادية بالاهتمام في سفر الأمثال، إذ وضح هذا السفر حدود المجال الذي يمكن للمرأة أن تنشط فيه، كما أن قيامها بصنع الملابس الكتانية وبيعها، على سبيل المثال، منظور إليه بعين الرضى. غير أن أعمال المرأة التجارية، في العصور التي يتحدث عنها الكتاب المقدس نادرة. ويرجع بعض الدارسين محدودية مساهمة المرأة تجاريا في مجتمع بني إسرائيل إلي أمرين: الأول: هو الدور الأساسي الذي اختارته الثقافة اليهودية للمرأة، وهو دور اجتماعي جنسي، كما بينا في صدر المقدمة أما الأمر الثاني، فهو ظروف الاقتصاد غير المتطور الخاص بالثقافة اليهودية[١٣].

٣-وضع المرأة في القانون ودورها في الطقوس والشعائر الدينية:

لم تكن منزلة المرأة، بصفتها من البشر، غائبة عن ذهن المشرع اليهودي، فصاحب الثور الذي ينطح رجلا أو امرأة يدفع غرامة معينة، بغض النظر عن جنس المتضرر أو عمره، من جراء هذا الحادث[١٤]. وهم يولون المرأة الحامل أهمية خاصة وذلك عندما تصاب بجروح نتيجة شجار يقع بين الرجال[١٥]. والرجل والمرأة اللذان يمارسان الزنا يتعرضان للعقوبة. وكذلك إذا تزوج الرجل بامرأة أبيه أو أم زوجته، فإن كلا من الرجل والمرأة يواجه عقوبة الموت[١٦].

---

[13] O.J. Baab op. Cit., ibid., qud see C.M. Brey fogle- The Religious- Statuse of Woman in the OLD Testament, op. Cit., P. 115,5ee also Rev. E.Day, The Social Life Of The Hebrew, London, 1901, p.36.

[١٤] سفر الخروج، اصحاح رقم : ٢١، الآيات: ٢٨- ٣١.

[١٥] نفس المصدر الآيات : ٢٢- ٢٥.

[١٦] سفر الاويين، اصحاح رقم : ٢٠ الآيات: ١١ وكذلك ١٧- ١٨.

والعهد الذي صنعه الرب مع موسى تتحمل فيه المرأة والرجل مسئولية أخلاقية متساوية. لذلك فإن الشخص الذي يعرف عنه الإلحاد مصيره الموت ، ويتساوى في ذلك الرجل والمرأة[١٧].

وعلى الرغم مما تقدم فإننا نجد بعض القوانين التي توحي بانحطاط مكانة المرأة عند بني اسرائيل . من ذلك أن الرجل يستطيع أن يبيع ابنته لسداد دين عليه[١٨]. كما يحق للأب أن يستولى على ما تكسب ابنته من عملها ، أو على ما تجده وتلتقطه في الطريق ، حتى تصل إلى سن البلوغ[١٩].

واقتصر دور المرأة في العبادات والشعائر الدينية على الأمور الثانوية . فالأفراد الذين قدسهم موسى على جبل الطور في سيناء كانوا من الرجال بل أمروا بألا يعاشروا زوجاتهم مدة محدودة[٢٠]. كذلك أقصيت المرأة من مهنة الكهانة عند بني اسرائيل . كما نقرأ في سفر "التثنية"[٢١] أن الرجال فقط هم الذين أمروا بالحرص على إحياء شعائر عيد الفصح ، وعيد الأسابيع ، وعيد المظلات[٢٢]. ولكن الكتاب المقدس يشير إلى مساهمة النساء في بناء الخيمة التي اتخذت معبدا متنقلا[٢٣]. وكذلك عندما أحضر نبي الله داود التابوت [الذي كان يحفظ فيه الكتاب المقدس] إلى أورشليم كانت هناك نسوة ضمن الموكب البهيج الصاخب[٢٤].

---

(١٧) نفس المصدر :

(١٨) سفر الخروج ، اصحاح رقم : ٢١ آية : ٧.

(١٩) الشنا : كتوبوت [كتابات] [عقود الزواج] الفصل الرابع . شنا رقم : ٩.

(٢٠) سفر الخروج ، اصحاح رقم . ١٩ الآيات : ٧-١٥

(٢١) اصحاح رقم : ١٦ ، آية : ١٦ .

(22)O.J. Baab Op Cit., P. 866 and see A. Rainey, Encyclopaedia Judaica Column no 625 bid.

(٢٣) سفر الخروج ، اصحاح رقم : ٣٢ الآيات : ٢٢-٢٩ وكذلك اصحاح رقم ٣٨ ، آية : ٨

(٢٤) هسوئيل [الكتاب الثاني] إصحاح رقم : ٦ ، آية : ١٩

٤ - مواقف حكماء اليهود تجاه المرأة:

تحوي المصادر اليهودية عددا من الآراء في المرأة ، ولذلك كان من العسير على المرء أن يتحدث عن رأي واحد باعتباره الرأي السائد في المرأة. لأن آراء الحكماء قد تباينت لتباين بيئاتهم الثقافية ، والاجتماعية كما أن تلك الآراء كانت محكومة أيضا بالأنماط الخاصة بالسلوك الاجتماعي السائد في عصر معين ، وبالتجارب الشخصية ، وبالمزاج الخاص بكل عالم يهودي . ويحوي أدب الربانيين ، بوجه خاص ، آراء متنوعة في المرأة[٢٥]. فنص البركة التي يتلوها الرجل كل يوم في صلاته والتي تقول : مبارك مولانا إلهنا ملك الكون الذي لم يخلقني امرأة[٢٦]، قد فسر على أنه شكر لله على الفرص العظيمة المتاحة للرجل لأجل أداء الفرائض التي أعفيت المرأة من أدائها ، والتي يجب أداؤها في وقت معين من اليوم غير أن هذا التفسير فيما يبدو لم يعجب السيد "كلود مونتيفيورى : حيث وقف من هذه البركة موقفا نقديا فهو يقول :

"ليس هناك مقدار من الكتابات التبريرية المعاصرة ، التي يمكنها أن تنهال إلى مالا نهاية ، يستطيع أن يغير من حقيقة أن موقف الربانيين من المرأة يخالف موقفنا أشد المخالفة . ليس هناك أي مقدار من الكتابات التبريرية يمكنها أن تتجاوز ما تنطوي عليه البركة اليومية التي لا يملك اليهود الأورثوذوكس الشجاعة لإزالتها من كتاب الصلاة الرسمي"[٢٧].

---

(25) L. Jacobs

(26) The Authorized Daily Prayer Book. London. 1962.2nd Edition p. 7

(27) G.G. Montefiore and H. Loewe. Arabbinic Anthology. London 1938. P. 507.

والنساء معفيات من فريضة التوراة . وعلى الرغم من أن قول ربى اليعزر: "كل من درس ابنته التوراة فإنما يعلمها الرذيلة"[٢٨]، كان رأيا فرديا ، إلا أنه كان ذا تأثير بالغ في تعليم المرأة، فقد جاء الاتجاه العام نحو تعليم النساء متفقا مع هذا الرأي . ونتيجة لذلك لم يتمتع بنعمة التعليم سوى عدد قليل من النساء . والقول بأن النساء يكتسبن الامتياز بإرسالهن أبناءهن إلى المدارس أو بتشجيعهن أزواجهن على الدرس والتحصيل ، يؤيد ما تقدم من أن الاتجاه السائد بين اليهود حول تعليم المرأة هو الاهمال[٢٩].

والسبب وراء خلق الله حواء من ضلع آدم يفسره المدراش[٣٠] على النحو التالي:

"قال الرب: لن أخلقها من الرأس كي لا ترفع رأسها في تكبر شديد ، ولا من العين كي لا تكون مغناجا ، ولا من الأذن كي لا تكون متجسسة ، ولا من الفم كي لا تكون مهذارة ، ولا من القلب حتى لا تكون غيورة ، ولا من اليد حتى لا تكون مجبولة على الاستحواذ ، ولا من القدم حتى لا تكون متسكعة ، ولكن من جزء مستور من الجسم حتى تكون متواضعة"[٣١].

ومع ذلك فقد قيل : إن كل ذلك لم يجد نفعا ، وإن النساء يتصفن بصفات أربع ، فهن جشعات ، متجسسات ، كسولات ، وغيورات ،

---

(٢٨) المشنا . فصل ٣ ، مشنا رقم ٤١ .

(٢٩) N. Drazin History of Jewish Education, Baltimore, 1940, P. 130

(٣٠) كلمة "مدراش" من الجذر "درش" الذي تندرج تحته المعاني التالية : السؤال والطلب والبحث والتقصي . والكلمة هنا تشير إلى نوع من التفسير الذي يهدف إلى استخلاص كل المعاني والتأويلات التي يحتوي عليها نص الكتاب المقدس .

(٣١) مدراش ربا على سفر التكوين : فصل ١٨ ، فقرة رقم ٢ .

وهن فوق ذلك محبات للشجار وثرثارات[٣٢]. وقيل أيضا أن عشرة معايير للكلام نزلت إلى هذا العالم فأخذت النساء تسعة منها[٣٣]. ويوصفن أيضا بأنهن طائشات ، أي أنهن غير جديرات بالاعتماد عليهن .

كما خشي من النساء كمصدر للغواية . وقد قيل أيضا إن صوت المرأة عورة وكذلك شعرها وساقها . ولذلك يحظر على الرجل أن تخدمه امرأة على المائدة مهما كانت الظروف[٣٤].

إلا أنه من وجهة أخرى قد قيل أيضا إن الرجل الذي يعيش بلا زوجة يعيش بلا سرور ولا بركة وبلا خير .

وعلى الرجل أن يحب زوجته حبه لنفسه ، وأن يحترمها فوق ما يحترم نفسه[٣٥].

وقد روى عن ربي يوسف[٣٦] أنه كلما سمع وقع قدمي أمه كان يقول : فلأقف بين يدي الحضور الإلهي([٣٧]).

كما قيل أيضا : إن خلاص بني اسرائيل من مصر لم يتم إلا بفضل نسائهم الفضليات[٣٨].

وعلى الرجل أن يحاذر دائما في أن يخاطب امرأته باستخفاف لأن النساء نزاعات إلى الدموع وحساسات للخطأ[٣٩]. والنساء أقوى إيمانا من

---

(٣٢) مدراش ربا على سفر التكوين ٤٥-٥٠

(٣٣) التلمود البابلي : كيدوشين [مقدسات] : ٤٩ ب .

(٣٤) المصدر السابق : ٧٠ أ

(٣٥) التلمود البابلي : يفاموت [زواج الأرامل من إخوان أزواجهن المتوفين] ص ٦٢ ب

(٣٦) ربي يوسف : أحد ربانيي التلمود .

(٣٧) المصدر السابق : كيدوشين : ٣١ ب .

(٣٨) المصدر السابق : سوطا : ١١ أ .

(٣٩) التلمود البابلي : بابا متصيعا [الباب الأوسط] : ٥٩ ب .

الرجال، وأقوى عزيمة منهم ، وأنهن رقيقات الفؤاد بشكل خاص[٤٠].

والتوراة ، وهي منعة الربانيين العظيمة ، كثيرا ما يشار إليها مجازا على أنها امرأة وتصور على أنها ابنة الله وعروس بني اسرائيل[٤١].

٥ - آراء في المرأة في مرحلة ما بعد التلمود :

سار المفكرون في العصور الوسطى ، من أمثال موسى بن ميمون ، على تعاليم الربانيين فيما يتعلق بواجب حسن معاملة الزوجة ، والتصرف مع النساء برفق ورحمة، أما باب العلم فقد ظل مفتوحا للرجال فقط[٤٢].

والروايات التي تم اختيارها لهذا البحث هي نتاج حركة تعرف باسم "الهسكلاه" وكلمة "هسكلاه" هي المصطلح العبري لحركة التنوير وأيديولوجيتها التي نشأت في أوربا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر [حولي عام ١٧٧٠] ، والمناصر لهذه الحركة ، يسمى "مسكيل" وتجمع على "مسكيليم" .

ولقد اتسع تأثير هذه الحركة واستمر حتى الثمانينيات من القرن التاسع عشر . والهسكلاه لها جذورها في حركة التنوير الأوروبية العامة في القرن الثامن عشر ، إلا أن ظروف المجتمع اليهودي الخاصة ومشكلاته في تلك الحقبة ، كانت من الأمور التي التزمت بها هذه الحركة .

لذا اختلفت الأهداف التي سعت إليها حركة الهسكلاه عن تلك الأهداف التي سعت إليها حركة التنوير العامة في أوربا[٤٣].

---

(40) Dr. H.H. Jertz. The Position of Women in Judaism. in the Sanctity of the Synagogue (edited by B. Livitin) Now York. 1959. P 267.

(41) مدراش ربا على سفر الخروج ، ٥ : ٤١ . وانظر أيضا البابلي ، بقاموت ، ٦٣ ب

(42) N. Drazin. History of Jewish Education (Baltimore. 1940). P 130 "Women in encyclopaedia Judaica. Vol. 16. columns 625-27

(43) M. Waxman. A History of Jewish Literature. (New York. 1960). Vol.3. p.p 164-181

ولقد أسهمت حركة "الهسكلاه" في دعم الاتجاه نحو اندماج اليهود في المجتمعات الأوربية على صعيد اللغة واللباس والسلوك، وذلك عن طريق ذم الشعور اليهودي بالعزلة في المهجر، وتبنيها فكرة الولاء للدولة المركزية الحديثة. وقد اعتبرت "الهسكلاه" هذا الاندماج شرطا مسبقا وجزءا لا يتجزأ من عملية تحرير اليهود، كما اعتبرت "الهسكلاه" هذا الأمر واحداً من أهدافها. وأنصار "الهسكلاه أو المسكيليم" نادوا أيضا بأن يحترف اليهود حرفا منتجة، وذلك عن طريق تعلم الحرف والصناعات اليدوية بما في ذلك الزراعة.

واختلفت بالطبع، درجة التركيز على الأهداف العامة، الآنفة الذكر، باختلاف المجتمعات اليهودية في الدول المختلفة، وتبعا لاختلاف الظروف. فقد كان التركيز على مسألة اندماج اليهود في المجتمع الأوربي، في غرب أوربا ووسطها، أكبر منه في شرق أوربا. كما أن الصراع هنا، أي في شرق أوربا، كان شديدا ومستمرا من أجل التعليم العلماني وتعليم الحرف المنتجة[٤٤].

ثانيا: هؤلاء الأربعة ورواياتهم:

وقد غدا لزاما علينا أن نعرف بإيجاز بكل هؤلاء الكتاب الأربعة المشار إليهم آنفا قبل عرض النماذج المختارة من قصصهم وتحليلها، وذلك لبيان أهمية كل كاتب واتجاهه بالنسبة إلي الأدب العبري الحديث. وقد اتبعنا طريقة عرض حياة المؤلفين تبعا لسنوات وفياتهم دون أي اعتبار فني آخر.

ابراهيم مايو: ولد في "سلوبودكا" وهي إحدى ضواحي كوفنو عام ١٨٠٨ وتوفي عام ١٨٦٨. وهو مبدع القصة العبرية الحديثة، وأحد أنصار

---

(44) Louis Greenberg, The Jews in Russia : The Stuggle for Emancipation :: (New York, 1976) Vol. I, P.P.23,56,134.

حركة الهسكلاه البارزين في شرق أوربا . ويرجع الفضل في شهرته إلى أولى رواياته وأكثرها نجاحا Ahavat tziyou [حب صهيون]. وقد نشرت هذه الرواية عام ١٨٥٣ في فيلنا . كما كتب ماپو أيضا ثلاث روايات أخرى وهي "Eit tzavua" [الحرباء أو المنافق] وتقع في خمسة أجزاء ونشر الجزء الثاني عام ١٨٦١، ونشر الجزء الثالث عام ١٨٦٤ وقد طبعت هذه الرواية طبعة ثانية في وارسو متضمن الأجزاء الخمسة عام ١٨٦٩ بعد وفاة الكاتب . وكانت روايته الثالثة بعنوان : "Hozeh Hizyonot" (المثالي) وقد أرسلت مع الجزئين الأولين من رواية "المنافق" إلى الرقابة الروسية . واختفت النسخة الخطية لرواية "المثالي" ولم يبق منها سوى سبعة أجزاء متفرقة . أما روايته الرابعة والأخيرة فكانت بعنوان Ashmat shomron [إثم السامرة] وقد نشرت في فيلنا في جزئين . ظهر الجزء الأول عام ١٨٦٥ وظهر الثاني عام ١٨٦٦[٤٥].

أما الثاني بين هؤلاء الكتاب الأربعة فهو "شالوم يعكوف أبراموفيتش" ويعرف باسمه المستعار: "مندله موخير سيفاريم" [مندله بائع الكتب] . ولد في بليدة تدعى كابولي في بلوروسيا عام ١٨٣٦ وتوفي عام ١٩١٧. كتب بالعبرية كما كتب باليديش[٤٦]. وقد أحاطت حياته

---

(٤٥) David Patterson. Abraham Mapu The creator of Hebrew Novel. (London. - 1964) p.23.

(٤٦) هي لهجة يهودية ألمانية من منطقة الراين الأوسط أصبحت منذ العصور الوسطى اللغة الدارجة بين يهود شرق أوربا . وقد ساهمت عناصر اربعة في تشكيل هذه اللغة هي : العبرية ، ولغة يطلق عليها اسم : LOEZ [وهي مزيج من فرنسية قديمة وايطالية يطلق عليها عرفت بين اليهود] والألمانية والسلافية . ويشكل العنصر الألماني بنسبة ٧٥٪ من ألفاظ اليديش وكذلك القواعد النحوية الأساسية للغة . وأما تأثير العبرية فقد انحصر في الألفاظ والعبارات الدينية . كما دخل اليديش الكثير من الألفاظ الانجليزية وذلك في البلاد التي تنطق بالانجليزية .

وأعماله بعدة فترات من تطور المجتمع اليهودي في روسيا : "الهسكلاه" و "حبت تصيون"[٤٧] [حب صهيون] والصهيونية .

وأعمال مندلي عديدة لم يلتزم في تأليفها لغة واحدة ، فقد كتب بالعبرية حتى عام ١٨٦٣ وبعد ذلك هجر العبرية ليكتب باليديش ثم عاد إلى التأليف بالعبرية ثانية عام ١٨٦٦ . ولم يعد مندلي إلى التأليف بالعبرية فحسب وإنما عكف أيضا على نقل أعماله القصصية الرئيسية من اليديش إلى العبرية . وقد استغرق منه هذا المجهود قرابة عشرين عاما ويرى الدكتور David Patterson أن ما قام به مندلي لم يكن مجرد ترجمة أعمال أصلية من لغة إلى لغة أخرى وإنما كان عمله هذا أشبه بعملية إبداع جديدة[٤٨] .

الف مندلي كل أعماله الرئيسية باليديش ، كما تقدم باستثناء رواية [الآباء والأبناء] التي ألفها بالعبرية أصلا . وقد مرت هذه الرواية في طورين من التأليف، فقد كانت في الأصل قصة قصيرة نشرت في وارسو عام ١٨٦٢ بعنوان Limdu hetev [تعلموا جيدا] ثم وسعها الكاتب فيما بعد لتظهر على شكل رواية : [الآباء والأبناء] التي نشرت في أوربا عام ١٨٦٨ [٤٩] .

---

(٤٧) حركة صهيونية نشأت في روسيا عام ١٨٨٢ مستمدة أقوى دوافع ظهورها من المذابح التي وقعت عام ١٨٨١ . ولقد أثار الشعار "إلى فلسطين" حماسا عظيما بين يهود شرق ووسط أوربا بشكل خاص عبر عنه بإنشاء جمعيات في روسيا وبولندا وانجلترا تهدف إلى شراء الأراضي في فلسطين وذلك لتوطين أعضائها . وكان طلاب العلم أكثر المنحمسين للحركة إلا أن معظم قادة الجماعات الدينية وقفوا منها موقف الحياد ، ولكنها وجدت معارضة من قبل اليهود الذين اندمجوا مع المجتمع الروسي كما عارض الحركة معظم يهود غرب أوربا. ولكن معارضة الدولة العثمانية كانت أشد فقد منعت السلطات العثمانية استيطان اليهود في فلسطين في ابريل من عام ١٨٨٢ .

(٤٨) Abraham S. Waldstein, The Evolutioin of Modern Hebrew Literature 1850 - (New York, 1966, P. 8 - بدأ مندلي حياته الأدبية كاتب مقالة وكانت قصة إبان فترة "الهكسلاه" بعد عام ١٨٨١ ولقد كان لمندلي الفضل الأكبر في إرساء دعائم أدب اليديش والواقعية الواقعية في الأسلوب العبري .

(٤٩) David Patterson, The Hebrew Novel in Czarist Russia (Edinburgh, 1964). P.5. Israel Zinberg, A History of Jewish Literature (New York 1978). Vol 12. P. 101. footnotes no. 24, 26.

أما ثالث هؤلاء فهو "بيرتس بن موشيه سمو لنسكين" ولد في مونسترشينا في مقاطعة موغيلوف ، في روسيا البيضاء عام ١٨٤٢ وتوفي عام ١٨٨٥. كان أغزر كتاب الرواية العبرية في فترة الهسكلاه إنتاجا . ولم يقف نشاطه الأدبي عند كتابة القصة فحسب بل عالج فنونا نثرية أخرى . فقد اشتهر بكتابة المقالة واشتغل محررا وناقدا في إحدى المجلات . ويعود الفضل الأكبر في شهرة سمو لنسكين إلى مجلة شهرية تدعى "هاشاحر" (الفجر) التي اصدرها هو عام ١٨٦٢ وقام بتحرير مجلداتها الأثني عشر حتى وفاته . وكان أيضا أحد أنصار حركة الهسكلاه البارزين، ومن أوائل الداعين إلى إحياء القومية اليهودية . أما عن اسهامه في فن الرواية العبرية فقد ألف ست روايات وهي التالية :

(١) "Ha - toch be - dar Kei ha - hayyim" (التائه في دروب الحياة) نشرت الأجزاء الثلاثة الأولى منها في فينا في الفترة ما بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٠ ، ثم اعيد طبعها في فينا كاملة بأجزائها الأربعة عام ١٨٧٦ .

(٢) "Simhat hanef" (فرحة الملحد) وقد نشرت في فينا عام ١٨٧٢.

(٣) "Qevurat hamor" (قبر حمار) ونشرت أيضا في فينا عام ١٨٧٧ .

(٤) "Gaon va - shever" (الكبرياء والسقوط) ونشرت في فينا عام ١٨٧٤.

(٥) "Gimmul yesharin" (جزاء المستقيمين) ونشرت في فينا عام ١٨٧٦ .

(٦) "ha - yerushah" (الميراث) وقد نشرت في فينا في الفترة ما بين عامي ١٨٧٧ و ١٨٨٤ .

وقد أعيد طبع روايات سمو لنسكين الست بعد وفاته وأُعيد طبع روايته الأخيرة مرة ثانية في بطرس بيرغ عام ١٨٩٨ .

كما أعيد طبع روايته الخامسة عام ١٩٠٣ في فينا . أما رواياته الأربع الأولى فقد طبعت مرة أخرى في وارسو عام ١٩٠٥[٥٠].

أما رابع كتاب الرواية العبرية البارزين في فترة الهسكلاه ، فهو "روبين أشير بروديس" الذي ولد في فيلنا عام ١٨٥٦ وتوفي في فينا عام ١٩٠٢، وجاءت شهرة بروديس في وقت مبكر عندما كان طالبا متميزا من طلاب التلمود، حين كان ينشر مقالاته الأولى في الدورية الربانية Ha-Levanon (اللبنان) عام ١٨٦٩ . ولقد كانت تلك المقالات تدور في الغالب حول قضايا تلمودية، إلا أنه في وقت متأخر بدأ يكتب حول الدعوة إلى الاصلاح الديني ، ويبدو هذا واضحا في مقالاته التي كان ينشرها في مجلتي - Ha Karmel (الكرمل) و Ha - meleetz (الأديب) . أما عن ظهور بروديس ككاتب قصة فقد كان في عام ١٨٧٣ عندما نشر قصته الأولى والتي كانت بعنوان Misterei bet-Tzefania (أسرار بيت صفانيا) والتي نشرها في مجلة (الفجر) ثم أعقبها بقصص كثيرة، إلا أن شهرته قاصا لم تأت إلا من روايتين طويلتين هما : Ha-dat veha-hayyim (الدين والحياة) و Shtei ha-qetzavavot أو النقيضان). نشرت الأولى في لمبرغ أول مرة في الفترة ما بين عام ١٨٧٦ وعام ١٨٧٧، ثم طبعت ثانية في لمبرغ أيضا عام ١٨٨٥ . أما روايته الثانية فقد نشرت في وارسو عام ١٨٨٨[٥١].

وبعد تنقلات عديدة بين روسيا وبولندا استقر مقام بروديس في بوخارست برومانيا عام ١٨٨٢ حيث تولى مهمة تحرير جريدة كانت تصدر باليديش . وفي عام ١٨٨٤ أجبر على مغادرة رومانيا إلى بولندا . وفي

---

(٥٠) David Patterson, The Hebrew Novel in Czarist Russia, PP. 3-4

(٥١) المصدر السابق ، نفس الوضع.

أخريات حياته ، حين كان يقيم في مدينة كراكو أخذ يساهم في انشطة الحركة الصهيونية ، كما شارك في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل في سويسرا عام ١٨٩٦[٥٢].

مما تقدم نعلم أن عدد الروايات العبرية التي ألفها كتاب الهسكلاه الأربعة يبلغ ثلاث عشرة رواية ، وإذا علمنا أن بعض هذه الروايات يتألف من أكثر من جزء أدركنا أن المادة المتعلقة بموضوع المرأة في هذه الروايات ليست بالهزيلة ، وأن الأحرى لها أن تعالج في كتاب لا في بحث متواضع كهذا . لذا لم أجد بدا من أن أختار من بينها ما أراه مناسبا من الناحية الفنية ، ومعبرا أصدق تعبير عن وضع المرأة في المجتمع اليهودي في أوربا إبان القرن التاسع عشر وقد وقع اختياري على ست من بين هذه الروايات الثلاث عشرة . ولهذا قدمت ملخصا لكل واحدة من هذه الروايات وتوقفت عند أهم الأحداث التي نسجت حولها حبكة القصة . وفيما يلي استعراض هذه الروايات .

---

(٥٢) David Patterson. The Hebrew Novel in Czarist Russia. PP. 16-17

ثالثا: الست روايات .. والدلالات

١) الآباء والأبناء:

تنتمى هذه الرواية إلى النمط الواقعى من القصص، فهى تدور حول الصراع بين جيلين: جيل الآباء الذى يسعى جاهدا إلى المحافظة على التقاليد مهما بلغت من القدم وتعارضت مع روح العصر، وجيل الأبناء الذى يكافح من أجل التسلح بالعلم واكتساب المعرفة الحديثة، ويتطلع إلى أن يحيا حياة عصرية تامة.

أما حبكة القصة فهى معقدة بسبب لجوء الكاتب إلى أساليب الخطابة والوعظ وتداعى المعانى، مما يجعل متابعة تطورها أمرا يكد الذهن. إلا أنه يمكن تلخيصها فى الآتى:

يتسحاك، الابن العاشر من الأبناء وغير المرغوب فيه داخل أسوته الفقيرة، يعمل فى خدمة رجل دين متجول يدّعى صنع المعجزات. وقد ضربه سيده المنافق هذا ذات مرة ضربا مبرحا كاد يودى بحياته، وذلك لأنه شك فى أن يكون هو السارق الذى سطا على ما لديه من مال. والحقيقة أن الذى سرق المال هو أعوان شخص يدعى أرييه وهو المخصص لإعانة يتسحاك المسكين لكى يتم تعليمه.

وأرييه هذا، واسمه الحقيقى إيلكانا، سليل أسرة ثرية ولكن المدرس الذى أوكل إليه تعليمه (وهو والد يتسحاك) لم يؤد الأمانة كما ينتظر منه كمدرس. فكانت نتيجة التعليم أن تشبع ذهن الفتى بالخرافات وقصص الحسيديم[٥٣] عن المعجزات والكرامات. ولذلك لم يكن غريبا أن

---

(٥٣) "حسيديم" جمع "حسيد" وهى لفظة عبرية تعنى : ورع أو تقى وال" حسيد" هو أحد أتباع حركة "الحسيدية" وهى بالعبرية: "حسيدوت" وهى حركة دينية صوفية نشأت فى جنوب بولندا وأوكرانيا فى القرن الثامن عشر الميلادى، ثم انتشرت فى باقى أجزاء شرق أوربا (بولندا ورومانيا وهنغاريا). أما فى أيامنا هذه فلا نشاط لهذه الحركة إلا فى اسرائيل والولايات المتحدة، وأما مؤسس الحركة

يسلبه ماله بسرعه عند وفاة أبيه ، ونتيجة لذلك بفقد يتسحاك ثقته في سيده صانع المعجزات الذي تخلى عنه في وقت الضيق . بعد ذلك توفيت ابنته الوحيدة فأرسل ابنه إلى الخارج تخلصا من بعض أعوان القيصر نيكولاى الأول . وبعد فترة وجيزة توفيت زوجته وابناه اللذان بقيا معه . وبدافع التشرد والفقر والاحساس بالقهر يتحول أرييه إلى زعيم عصابة ، على غرار روبين هود ، حيث راح يسرق أموال المتجبرين من الأغنياء ويوزعها على الفقراء .

ولأرييه أخت متزوجة من رجل يدعى إفرايم كرمولي أحد أتباع حركة الحسيدية المعتصبين ، وكان أكبر همه أن يتقبل ابنه شمعون أفكار الحسيدية ، وأن يؤمن بها كما آمن بها هو نفسه . ولكن ، دافيد ، استاذ شمعون يوجهه نحو أفكار حركة الهسكلاه مما آثار حفيظة إفرايم ، وجعله ينهال على ابنه ضربا . فنجم عن ذلك أن هجر شمعون بيت أبيه. وأثناء إقامة شمعون في أحد الفنادق يستولى رجال أرييه على أمتعته فيطارد شمعون رجال العصابة،فتنتهي المطاردة بلقائه بأرييه نفسه. ويتمخض اللقاء عن عقد صداقة بين الرجلين فيزود أرييه شمعون بالمال اللازم لاتمام دراسته،وتتوطد العلاقة بين الرجلين فيكشف أرييه لشمعون بأنه خاله .

لم يطرأ التغيير على حياة شمعون وحده بل امتد أيضا إلى حياة استاذه دافيد. فقد وقع هذا أسير حب راحيل ابنة إفرايم الجميلة ، وقد حاول جاهدا أن يغرس في ذهنها أفكار الهسكلاه . لكن رجل الدين الذي يتبعه إفرايم كان يخطط لتزويج راحيل من ابن أحد اتباعه المنافقين

فيدعى إسرائيل بن أليعزر الذي كان يعرف بلقب "بعل شيم طوف" ويعني : صاحب الاسم الطيب (أي ذو السمعة الطيبة أو السيرة الحسنة).

ويدعى بيرتس . لذا نجده يوعز إلى إفرايم بطرد دافيد من بيته بدعوى أن الفتى ينشر الكفر والإلحاد . وكان لرجل الدين ما أراد ، فقد رحل دافيد عن البلدة . ولكن ، لحسن الحظ ، يرتبط دافيد بأرييه الذي يكتشف أن دافيد ليس سوى ابنه المفقود منذ زمن طويل .

ويدخل دافيد ميدان العمل في التجارة فيحالفه النجاح وتقبل عليه الثروة ، ولكن معشوقته راحيل كانت قد تمت خطبتها ، وهي راغمة ، لابن بيرتس . ولكن أعوان أرييه يعثرون على ورقة تدين بيرتس بارتكاب جريمة ، فشجع ذلك أرييه على أن يرغم بيرتس على التخلي عن موضوع خطبة راحيل لابنه .

ويرقد إفرايم طريح الفراش نتيجة مرض ألم به إثر فشل مشروع تجاري قام به إليعازار ، وكيل أعماله . كما تطرق الوهن إلى إيمانه وعقيدته ، وذلك عندما ترامى إليه أن رجل الدين الذي يتبعه هو الذي بارك تلك العملية التجارية التي باءت بالفشل ، وأنه فعل ذلك بدافع مصلحته الشخصية .

ويسارع دافيد عندئذ إلى إنقاذ افرايم من الإفلاس ، إلا أن هذا مازال يصر على عدم رغبته في إلغاء موضوع خطبة ابنته لابن بيرتس . وتصل ، في تلك الأثناء ، رسالة من بيرتس يفصح فيها عن رغبته في التخلي عن موضوع الخطبة . وبذلك اصبح في مقدور إفرايم وسارة أن يباركا ارتباط ابنتهما راحيل بدافيد .

وفي خاتمة هذه الرواية يزود الكاتب قراءه بملخص لأهم الأحداث التي وقعت في حياة كل من أبطاله : راحيل تنجب ابنين ، ويسميان

باسمي جديهما . أما سارة فإنها تنعم بالعيش مع ابنتها وكنتها ، كما أنها أصبحت تدرك أن الهسكلاه ليست مرادفة للشر والخطيئة .

٢) المنافق أو (الحرباء):

تدور حبكة هذه القصة حول صراع بين أسرتين : أسرة يروحام وزوج ابنته "المسكيل" يوسف من جهة ، وأسرة جعال ، أغنى رجل في المدينة ، الذي يتظاهر بالورع والتقوى والذي يعارض كل تجديد يطرأ على الحياة اليهودية . وقد كان جعال هذا في أول أمره مجرد كاتب في شركة يروحام التجارية ، ولكنه لما كان مجبولا على الخبث فقد جلب الخراب لرب العمل الذي يعمل عنده . كما كان جعال في الوقت ذاته يطمح إلى الزواج من سارة بنت يروحال الحسناء ، وعندما رفضته وتزوجت يوسف ، أججت في صدره نار العداوة . ومن خلال أعماله الشريرة ، كسدت تجارة يوسف المزدهرة بل مات يوسف نفسه غما وكمدا .

واستمر جعال في اضطهاد يروحام وابنته الأرملة وأبنائها مستخدما في ذلك أساليب شتى ، أهمها نشر الأكاذيب التي تصفهم بأنهم قوم لا يعرفون الورع والتقوى ، وأنهم لا يتورعون عن الخروج على القوانين والشرائع اليهودية . ولم يكن جعال وحيدا في هذه المعركة بل كان لديه أعوان . كما أن يروحام لم يكن وحيدا أيضا في هذه المعركة ، فقد وقف في صفه جميع المسكيليم .

أما أهم أعوان جعال فكان زوج ابنته : ربي تصادوك (صدوق) ، والذي يتصف بأدنادركات النفاق ، وسيتضح فيما بعد (كما تشير بذلك تفاصيل القصة) أنه ارتكب جرائم عدة في شبابه . وتصادوك هذا يستغل

أيضا مسألة مصاهرته لجعال (الرجل الورع التقى) ليتظاهر أيضا بأنه أحد أولياء الله الصالحين الذين تأتي على أيديهم الكرامات . وهو في هذه المعركة يد جعال التي يبطش بها . أما أقوى أنصار يروحام فشخصان : شاؤول ونحميا : الأول كان صديقا ليوسف ، زوج ابنه يروحام المتوفي ، وهو تاجر كبير وعلى قدر من التحرر الفكري وأما نحميا فقد كان **مسكيلا** أصيلا ، سخر كل طاقاته من أجل تحسين الحياة اليهودية والارتقاء بها .

٣) قبر حمار:

تعتبر حبكة قصة "قبر حمار" أكثر حبكات قصص سمولنسكين أصالة . وهي تدور حول الأعمال الجريئة التي يقوم بها ابن حفار القبور في البلدة يعكوف حاييم بطل هذه القصة ، وهو شخص عرف عنه ولعه بالمزاح العملي والدعابات السمجة. فقد اعتاد منذ صباه أن يثير الهلع في قلوب مواطنيه ، وذلك بالاختفاء في المقبرة وإصدار الصرخات الحادة ، فقد ظهر ذات ليلة للمشرف في المعهد التلمودي متنكرا في هيئة شبح متنبئا له بدنو أجله . ولكن أخطر ألاعيب هذا الفتى كان إقدامه على سرقة كعكة كانت جمعية دفن الموتى قد أعدتها لمناسبة الذكرى السنوية لتأسيسها. تم تسجيل هذه الحادثة في سجل الجمعية بغية الاقتصاص من اللص إن عرفت هويته مستقبلا بأن يدفن "دفن حمار" عند وفاته ، وذلك خارج سور المقبرة .

وتمضي الأيام ، وتشاء المقادير أن يتزوج يعكوف حاييم من إستير ، حفيدة ربي غيتسل ، رئيس جمعية دفن الموتى ، ولما كان البطل معروفا

بطيشه وميله إلى التفاخر فقد أفضى بسره لزوجته التي أبلغت جدها بما سمعت من زوجها . فاستبد الغضب بالجد ، واصر على أن يطلق حفيدته من يعكوف حاييم فأبى يعكوف . ثم إنه اضطر في آخر الأمر إلى الفرار من البلدة تاركا زوجته .

وصادق يعكوف أحد كبار موظفي الحكومة في المنطقة التي فر منها ولما كان الفتى يجيد اللغة الروسية عينه الموظف سكرتيرا خاصا به . وأخذ يعكوف يرافق رئيسه في تنقلاته . وتشاء المصادفة أن تعين الحكومة هذا الموظف مديراً لناحية اتضح فيما بعد أنها كانت مسقط رأس يعكوف حاييم . وما أن عاد الفتى إلى موطنه حتى عاوده نزقه القديم ، فظهر في إحدى الليالي متنكرا في هيئة شبح لوالد زوجته ربي غيتسيل شماريا موهما إياه بأنه شبح والده المتوفى (شبح والد البطل) ومطالبا إياه بجمع شمل حفيدته بأبنه يعكوف . وانطلت الحيلة على الجد، وترتب على هذا أن رحب أبناء الطائفة اليهودية بعودة يعكوف حاييم وعينوه سكرتيرا لمجلس الطائفة .

وفي هذه الأثناء يظهر على مسرح الأحداث شخص يدعى زباديا ، وهو رجل أرمل على جانب من الثراء والنفوذ ، ويبدو أنه يخطط للفوز بإستير . وحتى يحقق مآربه تعرف بيعكوف وعقد معه صداقة . واستطاع أيضا أن يعلم بأمر تلك الحيلة التي احتال بها يعكوف على ربي غيتسيل شماريا ، واغتنم زباديا الفرصة فأفشى سر يعكوف إلى أصحاب الحل والعقد في الجالية اليهودية ، ففصل يعكوف من عمله . كما ترتب على ذلك أن غير ربي غيتسيل شماريا وصيته وأودع أمواله لدى مجلس الجالية اليهودية .

لم يرتح يعكوف حاييم لهدين التطوربن ، فعزم على الانتقام من خصومه ، فأبلغ السلطات بأن كبار التجار من أبناء الجالية يمارسون تهريب البضائع، ويتهربون من دفع الضرائب المستحقة على ما يستوردونه من بضائع . فكانت النتيجة أن سجن هؤلاء التجار .

فثارت الجالية اليهودية في وجه يعكوف وقاطعته ونبذته . والحت استير على زوجها بضرورة الاعتذار للقوم ، فوافق بعد تردد . ولكن غريمه القديم زباديا كان له بالمرصاد ، فقد عمد زباديا إلى تفويت رغبة يعكوف في الصلح بينه وبين أعضاء مجلس الجالية ، وذلك بالعمل على إصدار قرار يقضي بطلاق إستير من يعكوف حاييم كشرط لحصولها على ميراث جدها . ولم تقف كراهية زباديا ليعكوف عند هذا الحد ، فقد علم زباديا أن يعكوف قد أنضم إلى طائفة من المتذمرين من أبناء الجالية اليهودية، فاستأجر زباديا فلاحا ليقتل غريمه ، فكان له ما أراد ، وألقى القاتل المأجور الجثة في النهر ، فانتشلها جماعة من الصيادين من النهر وجئ بها لتدفن فتذكر أعضاء مجلس الجالية ذلك القرار القديم القاضي بدفن يعكوف حاييم "دفن حمار" ، فدفن خارج سور المقبرة اقتصاصا منه ، ولكي يلازمه العار حتى بعد الممات .

أما إستير الأرملة المسكينة فهي لا تعاني فقط من ألم الحزن على فقد زوجها، وإنما تلاقى أيضا عنتا من قبل زباديا الذي مازال يضع العراقيل في سبيل حصولها على حقها الشرعي بتركه جدها ونتيجة للظلم الواقع عليها ويأسها من تحقيق العدالة تتنصر إستير ، وتقوم كذلك بتعميد ابنتها الصغيرة .

٤) التائـة في دروب الحيـــاة:

تعتبر هذه الرواية أهم روايات سمو لينسكين ، وهـي مكتوبة على شكل سيرة ذاتية لبطلها يوسف . والكاتب في هذه الرواية يقدم بطله على أنه في رحلة وانتقال ، مكافحا من أجل أن يسلك في الحياة سيرة حميدة، إلا أن الظروف كانت دائما تقف ضده ، وقد أدت بالفعل إلى انحرافه عن جادة الحق . وقصة حياة البطل التي تحكي تنقلاته من مدينة إلى أخرى ومن قطر إلى آخر تقدم بواقعية صورة لكل الحياة اليهودية بمظاهرها المختلفة،سواء في ما يعرف بـ "الجيتو" أو في المناطق التي استوطنها اليهود حديثا في المدن الكبيرة في غرب أوربا آنذاك .

تبدأ القصة بحديث الراوي ، وهو هنا البطل نفسه ، عن طفولته التي عاشها يتيم الأبوين . وهو لا يذكر أباه ، لكن صورة أمه ووفاتها ظلا ملازمين له . فقد أعطته أمه ، قبيل وفاتها ، رسالة،وأوصته بأن يسلمها لعمه لأنه هو الذي سوف يتولى رعايته . وصل العم بعد فترة من الزمن وأخذ ابن أخيه إلى داره . كان العم رفيقا بيوسف ، لكن زوجته كانت على نقيضه ، فقد أظهرت عداوة شديدة ليوسف منذ البداية واضطهدته . ولم يحتمل يوسف الظلم الواقع عليه ، فزين له فتى يكبره سنا ، وهو طالب في أحد المعاهد التلمودية ، أن يسرق بعض المال من عمه وأن يهربا سويا،ولم تكد رحلة الغلامين تبدأ حتى اكتشف يوسف أن رفيقه قد غرر به ، فقد سرق الغلام كل ما لدى يوسف من مال واختفى تاركا إياه وحيدا.

يشكل ما تقدم الخلفية الخاصة بالرقعة التي نسجت عليها خيوط حياة التائه المتنوعة . ومن هنا تبدأ تنقلاته . فقد التحق أول الأمر بفريق

من المتسولين . ونشأت بينه وبين رجل مسن ، وهو عضو في هذه المجموعة ، صداقة حميمة . وقد عامله هذا المسن معاملة الأب لابنه . وبعد موت هذا الرجل المسن لزم يوسف رجل دين متجولا يخدمه ويصحبه في أسفاره . فيسافر يوسف مع سيده أولا إلى أوديسا ، ثم إلى العديد من البلدات والمدن ، وهو يشاهد سيده يمارس الشعوذة والاحتيال على الناس. وتسنح الفرصة ليوسف اليتيم فيحتال على سيده المشعوذ ويسرق ماله ويولى هاربا . ولما لم يكن يوسف يحسن أية صنعة فقد انضم إلى فرقة من المنشدين الخاصة بمنشد مشهور في إحدى المدن الكبرى حيث يزداد خبرة بأعمال الشر واللؤم البشري . وهنا يتم اللقاء الأول بين يوسف ورجل شرير يدعى ميناشيه،وهو رئيس الجالية اليهودية في تلك المدينة،والذي يعرف عنه أنه يتظاهر بالورع والتقوى . وقد بالغ ميناشيه في تظاهره بالورع والتقوى إلى درجة أنه أراد ذات يوم أن يعاقب امرأة هجرها زوجها،وذلك بحجة أنها تبادلت الحديث مع رجل غريب ، متناسية أنها مازالت على ذمة رجل . وصادق يوسف منشدا من الجوقة يدعى دان ، ولكون دان أكبر سنا من يوسف،ولمعرفته بالكتاب المقدس واللغة العبرية أصبح مدرسا ليوسف ومرشدا يتولى مهمة فتح عينيه على حقيقة أعمال ميناشيه الخبيثة. ولم يلبث يوسف أن اكتشف أن ميناشيه ليس إلا ذلك الشخص الذي احتال عليه حين فر هاربا من بيت،عمه كما اتضح ليوسف أيضا أن ميناشيه كان قد ارتكب جرائم عدة،وأنه تسبب في تشتيت شمل أسر كثيرة من بينها أسرة والد تلك المرأة التي هجرها زوجها والتي تقدم ذكرها ، كذلك تسبب في هدم كيان أسرة دان نفسه . وتشاء الأقدار أن تتاح الفرصة ليوسف ليتعرف أسرار مأساته هو . فقد علم أن عمه ، وبتحريض من

زوجته ، هو الذي جلب الخراب إلى بيت أبيه، وذلك باتهام أخيه (والد يوسف) بتزوير العملة ، الأمر الذي أدى به إلى القبض عليه وإلى انتحاره في النهاية . وبعد أن عركته الحياة وأدرك كثيرا من أسرارها وصقلته التجارب أخذ يوسف ينظر إلى سلوكه نظرة ساخطة ، وبدأ يفكر في انتهاج مسلك جديد في الحياة . نصحه دان بالالتحاق بأحد المعاهد التلمودية في شكلوف Shklov كما زوده برسالة إلى طالب يكبره سنا يدعى جدعون، الذي كان له فيما بعد، بمثابة المرشد والناصح .

وهكذا ينتهي الجزء الأول من الرواية عارضا حشدا كبيرا من الأحداث المتعلقة بحياة البطل الشخصية، ومشاهد من الحياة اليهودية بشكل عام .

أما الجزء الثاني من الرواية فإن الكاتب يعرض فيه لوصف الحياة في المعاهد التلمودية في مدينة شكلوف ، حيث يعيش يوسف في كنف صاحبه دان الذي يتعرف بوساطته إلى أفكار حركة الهسكلاه . ولكن اتجاهه العلماني هذا يوقعه في المتاعب ، إذ أن الهسكلاه في نظر المتزمتين من اليهود مرادف للزيغ والضلال ، لذا نجد البطل يجبر على مغادرة المعهد ، لينتهي به المصير إلى أن يعتقل تمهيدا لإلحاقه بالخدمة العسكرية الإجبارية . وفي معسكر الاعتقال يلتقي يوسف بصاحبه جدعون ثانية .

ولكن لحسن الحظ يفرج عن الصديقين بعد أن يسمعا مزيدا من أعمال مينا شيه الشريره من بعض المعتقلين .

أما الجزء الثالث فيصور لنا البطل وهو في بلاط رجل دين من أتباع حركة "الحسيدية" ولكنه بسبب نقده اللاذع لأتباع هذه الحركة ، والذي

لم يسلم منه سوى صاحب البلاط ، يطرد من ذلك المكان . فيغادر يوسف المدينة إلى مدينة أخرى مجاورة ، وهناك يقع مرة أخرى في حبائل رجل شرير يدعى يهوياريب الذي يستغله أداة لمحاربة المعارضين لحركة الحسيدية . ولكن الشرير ما لبث أن أدرك أن يوسف يريد أن يفسد عليه خططه ، فسارع إلى تدبير أمر إلقائه في السجن . ولكن بمساعدة بعض المسكيليم يخرج يوسف من السجن ويغادر المدينة قاصدا أوديسا ، ولكنه يتوقف في شكلوف حيث يوظفه صديق من أيام الدراسة في المعهد التلمودي مديرا لأعماله . وفي مستقره الجديد يقع يوسف في حب فتاة تدعى "شيفرا" وهي حفيدة رب العمل الذي يعمل عنده . وكانت والدتها مريضة وقد نصحها الأطباء بالسفر إلى الخارج للاستشفاء فتصطحب ابنتها شيفرا وتأخذ يوسف مترجما . وفي أثناء الرحلة يكتشف يوسف أن والدة شيفرا ليست سوى امرأة عمه فيعزم على ترك المرأة وابنتها ، ولكنه يرجع عن عزمه هذا ويواصل الرحلة . وبينما هم مسافرون على ظهر سفينة إلى السويد هبت عاصفة على السفينة فجرف الموج زوجة عمه . فتصاب شيفرا بالجنون وتدخل مستشفى للأمراض النفسية حيث تفارق الحياة .

ويواصل يوسف رحلته إلى هامبورج ، وهناك يكسب ثروة عظيمة عن طريق بطاقة يانصيب ، ولكنه سرعان ما يبدد هذه الثروة وينضم لفترة محدودة إلى فرقة تمثيل . وتشاء المصادفة أن يلتقي يوسف ، أثناء تجواله، بسيده القديم صانع الكرامات الذي يخبره بنهاية صديقه مياشيه المفجعة . ومن سيده القديم أيضا يعلم أن محاولة والده في الانتحار لم تنجح ، وأنه فر من السجن إلى أمريكا حيث كون ثروة طائلة وأنه في الوقت الحاضر يقيم في لندن .

يسافر يوسف إلى لندن بحثا عن أبيه، ولكنه لا يوفق في العثور عليه. وبعد أن واجه بعض المصاعب صادق امرأة غنية في مقتبل العمر قدمت له بعض العون . ثم تطورت هذه الصداقة إلى علاقة غرامية . لكن أخا المرأة الشابة المتعجرف لم يرتح لهذه العلاقة ، وقد بلغ الأمر أن أهان يوسف إهانة بالغة مما اضطر يوسف إلى تحديه ودعوته للمنازلة . وقد أسفر النزاع المسلح عن قتل أخى المرأة الشابة وإصابته بجرح خطير . وبعد شفاء يوسف من إصابته بعدة أشهر يكتشف البطل أن القتيل كان أخاه لأبيه ، وأن أباه قد مات من هول هذه الصدمة . لم يملك يوسف ، إزاء هذه الأنباء المفجعة ، إلا أن يرحل إلى الخارج أملا في أن يسليه السفر ، وينسيه التنقل مصابة الأليم .

أما الجزء الرابع والأخير من هذه الرواية فيقوم في معظمه على رسائل متبادلة بين يوسف وأخته لأبيه . ويسجل البطل في رسائله هذه ملاحظاته حول الواقع السياسي والاجتماعي في عدة أقطار كان قد تجول فيها. أما رسائله الأخيرة التي بعث بها إلى أخته من روسيا فهي تطفح بخيبة أمله من حركة الهسكلاه ، ولكنه رغم هذا الشعور بخيبة الأمل تجاه هذه الحركة فإنه لا يتخلى عن مثلها العليا . فنجده يضع برنامجا لمدرسة حديثة تقوم الدراسة فيها على الجمع بين مبادئ اليهودية التقليدية والعلوم الحديثة . نهاية تجوال يوسف تقترب وكذلك يقترب حتفه . ففي أثناء إقامته في مدينة أوديسا صادف أن نشب قتال بين طائفة من اليهود وطائفة من سكان المدينة ممن يعتقون اليهود . انتصر يوسف لبني ملته وانضم إليهم في القتال، فأصيب بجرح بالغ كان السبب في وفاته.

النهاية السعيدة لا تغيب عن ذهن المؤلف رغم ثانوية الحدث .
فقد تزوجت أخت يوسف من صاحبه جدعون الذي أصبح أستاذا في الجامعة في سويسرا .

٥) الدين والحياة :

حبكة هذه الرواية تتسم بالبساطة والوضوح وهي مجرد إطار لوصف الجدال العنيف حول قضية الإصلاح الديني الذي ثار في لثوانيا في الفترة ما بين ١٨٦٩ وعام ١٨٧١ . ولكي يصور الكاتب موقف الربانيين المفرط في التزمت في تفسيرهم للقانون الديني اليهودي ، عمد بروديس إلى اختيار ثلاثة نماذج مألوفة لينسج حولها قصته . النموذج الأول يدور حول ميل حاخام حارة اليهود إلى اتخاذ موقف سلبي تجاه حالات ذبح الذبائح التي يلابسها أدنى درجة من الشك .

تبدأ القصة بالشكوى من أن الحاخام قد أفتى بعدم صلاحية لحم ثلاث بقرات للأكل الواحدة تلو الأخرى في يوم واحد، غير عابئ برأي الجزار الذي أفتى بصلاحية لحمها للأكل، ورأيه هذا مبني على خبرة أربعين عاما في هذه المهنة. ولقد تسبب موقف الحاخام من هذه المسألة في حرمان الطائفة اليهودية من الطعام في يوم السبت كما لحقت الجزار خسارة جسيمة.

وفي اليوم التالي في الكنيس يقطع الجزار على المصلين صلاتهم قبل قراءة التوراة ليثير هذه القضية مرة أخرى ويستثير اهتمام البطل، شموئيل، وهو عالم حاذق في التلمود وعلى قدر ليس بالهين من التعليم الدنيوي فينحاز إلى الجزار مهاجما استبداد الحاخام.

ويدور جدل عنيف بين الرجلين، فيحتج شموئيل بنصوص من التلمود بينما يلجأ الحاخام إلى الاحتجاج بنصوص من كتاب "شولحان عاروخ"[٥٤] الذي يحوي القوانين والشرائع اليهودية. أما جمهور المصلين فقد أخذتهم الدهشة من هذا الأمر الغريب وهو وجود مصدرين موثوقين من مصادر التشريع اليهودي وقيام التناقض بينهما. ويتمسك الحاخام بوجهة نظره ويتهم شموئيل بالإلحاد. أما شموئيل، وهو المدله بحب حنة، ابنة زوجة الحاخام، والذي يبدو أنه حريص على عدم هدم العلاقة بينه وبين الفتاة، فإنه ينسحب من النقاش.

أما المثال الثاني فيدور حول الخسائر المادية التي تلحق الناس الأبرياء نتيجة التفسيرات المغرقة في التعقيد للقانون. فقد توفي طفل في البيت المجاور لبيت أم شموئيل. ولما كانت شموئيل وجاراتها قد نسين أن يتخلصن من المياه الراكدة في بيوتهن بعد وفاة الطفل مباشرة فقد اعتبر جميع الطعام الموجود في تلك البيوت محرما أكله. كما أمرت النسوة - إضافة إلى هذا - بأن يتخلصن من آنية الطبخ الموجودة في بيوتهن وأن يشترين آنية غيرها. وإزاء هذا الموقف القانوني الديني المتشدد يجد شموئيل نفسه مضطرا للتدخل فيهاجم هذا القرار معتمدا على معرفته الواسعة بالقانون اليهودي، ولكن لما كان رأيه مخالفا لرأي الحاخام فقد قوبل بالرفض التام.

---

(٥٤) تعني العبارة بالعربية: "المائدة المعدة" وهو كتاب يحوي القوانين والأحكام الشرعية اليهودية التي قام بجمعها يوسف كارو وهو يهودي من أصل أسباني. وقد علق على الكتاب يهودي من شرق أوروبا يدعى موزيس ايسر لس مضيفا إليه الهوامش والحواشي التي تعرض فيها لذكر الأحكام والعادات والتقاليد المختلفة التي يسير على نهجها اليهود الغربيون. انظر:
The Encyclopadia of Jewish Religion, pp 358-59

أما المثال الثالث فهو أوثق الأمثلة الثلاثة صلة بموضوع الرواية ، وهو يدور حول قضية المرأة التي ترملت ولم تنجب إبنًا ذكرا . ولقد ارجأت الحديث عن هذه القضية إلى حين التعرض للمشكلات التي كانت تعانيها المرأة اليهودية وموقف الكتاب المذكورين آنفا منها . فالقضية في صلب موضوع البحث ألصق ، وعرضها بين النماذج الفنية أليق . ولذا لم أشأ أن أعرض هذه القضية بالتفصيل هنا واكتفيت بالإشارة إليها(**).

٦) الطرفان :

رواية (الطرفان) وهي الرواية الثانية لبروديس تصور نمطين مختلفين في الحياة اليهودية اختلافا بائنا . النمط الأول وهو الحياة التي تلعب فيها المادة دورا كبيرا ولا نصيب فيها للدين . أما النمط الثاني فهو الحياة المعتمدة على الدين ، والتي لا تكاد تكترث للكثير من مظاهر الحياة الدنيا . وقد اختار الكاتب مسرح قصته في مدينة كبيرة مثل أوديسا كمثال للنمط الأول من الحياة اليهودية . أما النمط الثاني فيتمثل في الحياة في بلدة حسيديه أطلق عليها الكاتب اسما رمزيا هو : "SUKKOT"(٥٦). وقد قصد الكاتب من هذه الرواية إلى إظهار النتائج السلبية المترتبة على التطرف أو التناقض الحاد في الحياة اليهودية . ولإتمام هذا القصد رسم بروديس شخصيتين يهوديتين تناقض إحداهما الأخرى تمام التناقض ، ثم

(**) انظر أسفل ص ٤٦ - ٤٩ .

(٥٦) سكوت "SUKKOT" جمع سكا (SUKKAH) وتعني العريش أو الظلة . وفي التوراة يوضعان بهذه التسمية . الأول : الكان الذي رحل إليه يعقوب بعد أن ترك أخاه عيسو ، حيث اقام فيها مظلات له ولأبنائه ومواشيه (سفر التكوين : اصحاح رقم : ٣٣ ، آية رقم ١٧ ويقع في شرق الأردن وشمال مخاضة يبوق . الثاني : أول محلة توقف فيها بنوا اسرائيل بعد خروجهم من مصر (سفر الخروج : اصحاح رقم ١٢ ، آية ٣٧ . واصحاح رقم : ١٣ آية رقم : ٢٠ . وكذلك سفر العدد : إصحاح رقم : ٣٣ آية رقم : ٥ وموضعها غير معروف . وعندهم عيد يعرف ايضا باسم "سكوت" وهو ثاني أعياد الحصاد وثالث مواسم الحج إلى أورشليم .

أخذ يروي لنا ما يجري لكل منهما في الحياة بشكل عام ويلاحظ تأثير البيئة في الشخص الذي نشأ على نقيضتها بشكل خاص .

الشخصية الأولى هي شخصية يعكوف حيتصرون ، شاب ثري ينتمي إلى طائفة "الحسيديم" من بلدة فولينيا حيث كان يحيا حياة يهودي ملتزم وكان متزوجا من ابنة أغنى حسيد في البلدة . كان يعكوف هذا مشبعا بالروح الدينية السائدة في بيئته ، ولكنه في الوقت ذاته يعشق الفن الذي تمثل في حبه للموسيقى . وتشاء المصادفة أن يذهب يعكوف ذات مرة إلى أوديسا ليرى محاميه ، ويدعى يوريف ، من أجل قضية يريد رفعها . وهناك تنفتح أمامه أبواب عالم جديد ، فقد أخذه سحر المدينة ، وأثار إعجابه ذلك التنوع في الحياة فيها . وعن طريق محاميه تعرف يعكوف أسرة يهودية أرستوقراطية يدعى عميدها أحيطوف . فأدهشه جمال البيت وأعجب أيما إعجاب بأسلوب حياة الطبقة الراقية . ولكنه كان أكثر اعجابا بالأبنة ليزا التي راقه فيها جمالها وسلوكها المتحضر وبراعتها في الموسيقى . كل ذلك جعله يفقد الرغبة في العودة إلى بلدته القذرة . وفي غمرة الدهشة والإعجاب بالحياة نسى يعكوف أنه رجل متزوج ، وأنه أب لطفلين فوقع في حب ليزا ، وأنكر أنه متزوج ، وحصل على موافقة الفتاة ووالدها وأوشكت الخطبة أن تعلن . وفي هذه الفترة المهمة يفتضح أمر يعكوف حتصرون على يد شخص يدعى بارزيلاي وهو شاب سبق له أن طلب يد ليزا فيؤجل مشروع الخطبة المزمع مؤقتا . لكن الموضوع ، على أية حال ، لم ينته لأن والد ليزا والمحامي يوريف يريدان أن يتم هذا الزواج مهما كلف الأمر وذلك لأنهما وجدا في ثروة يعكوف السند القوي الذي يمكن أن ينعش أحوال أحيطوف المادية المنهارة . لذا

نجدهما يقترحان على بعكوف أن يطلق زوجته وأن يتزوج ليزا . عندئذ ينشأ صراع في نفس حتيصرون بين حبه لليزا من جهة وولائه لزوجته وأطفاله من جهة أخرى ، فيتضاءل إعجابه ببهرج المدينة ويؤنبه ضميره على ترك زوجته وأبنائه ويعاوده ورعه القديم . ولقد كان من الممكن أن يستجيب للدافع الأول فيطلق زوجته ويرتبط بليزا ، وقد كان الأمر شديد الإغراء لولا ما استجد من أمور أدت إلى ظهور البطل الثاني في الرواية وهو سولومون أحيطوف ، أخو ليزا على مسرح الأحداث .

سولومون شاب ينتمي إلى فئة اليهود المندمجين في المجتمع الأوربي المسيحي والذي استمتع بحياته إلى اقصى حد ، كما تزوج من فتاة من طرازه هو تدعى روزالي ، محبة للهو مثله . وتشاء الأقدار أن يذهب هذا الشاب في رحلة عمل إلى بلدة صغيرة في فولينيا والتي كانت بالمصادفة مسقط رأس يعكوف حيتصرون حيث تتاح له الفرصة ليتعرف جميع أفراد الأسرة بمن فيهم سارة ، زوجة حيتصرون ، التي كانت امرأة جميلة ولا يعيبها سوى اسلوبها القديم في اختيار ملابسها وذلك الشعر المستعار مما يشوه جمالها ، فيعجب سولومون إعجابا شديدا بذلك الجو الاجتماعي الهادئ والورع الصادق اللذين يشيعان في البيت ، ويقارن هذه الحياة الأسرية الوادعة في هذا البيت الذي ينزل فيه على ربه ضيفا بالحياة اليهودية الخاوية العابثة في مدينة أوديسا . ويأخذ بمجامع قلبه في البيت أيضا ذلك الوقار البسيط الذي يتميز به يوم السبت . وتستحوذ على قلبه شيفرا المرأة العزباء في الأسرة وهي فتاة لطيفة وغير مدللة وقد تلقت بعض التعليم الدنيوي سرا على يد شاب يدعى بنيامين ، وهو أحد الذين

يناصرون حركة الهسكلاه سرا . أعجب سولومون في الفتاة ، تواضعها واستقامتها وحبها لوالدها .

ويقارن بينها وبين زوجته الطائشة المحبة للهو والتي يفترض فيها أنها تجاري روح العصر ، فيجد أن شيفرا تفضلها كثيرا . ويتعاظم في نفسه الشعور اليهودي ، فيقبل على دراسة اللغة العبرية ، ويكثر تردده على الكنيس . أفصح سولومون عن مشاعره المتضاربة التي تعتلج في صدره إلى بنيامين ، فأفشى هذا سره إلى شيفرا، فطردت سولومون من المنزل على رغم ما كانت تكنه له من حب، ورفضت أن تراه مرة أخرى . وعلى الرغم مما يعانيه من مرارة خيبة الأمل فإنه يكتشف ، وبالتدريج ، ما كان غائبا عن نظره من عيوب الحياة في تلك البلدة الحسيدية . فقد اكتشف النفاق والتفاهة والرغبة المتعصبة المتعمدة بإعاقة انتشار المعرفة والتقدم، والتي بلغت ذروتها في اضطهاد بنيامين الذي ضبط يقرأ كتابا مؤلفا بالروسية .

التغير الذي طرأ على حياة يعكوف حيتصرون لم يعد أمرا خافيا، فما لبثت زوجته أن علمت بأن شريك حياتها قد خرج عن جادة الفضيلة فتستنجد بجدها . ويدعى هذا الجد يهودا عمانونيل، وهو النوع الثالث من اليهود ، والذي يظهر على مسرح الأحداث ليمثل الاتجاه الوسط أو المعتدل في الحياة اليهودية . هو عالم حاذق في التلمود وعدو للحسيديم ، وهو معتدل في حبه لحركة الهسكلاه . تبلغه استغاثة حفيدته ويعزو تصرفات زوجها الغريبة إلى تعليمه الحسيدي الضيق الأفق . ويجمع أمره على المجئ إلى أوديسا ، وبقدومه تنفرج الأزمة . فقد أقنع ابنته بأن تولى مظهرها شيئا من العناية مما ساعد على إبراز جمالها ومكنها من أن تستميل قلب زوجها الضال مرة أخرى .

ويتضح أيضا أن الأب أحيطوف ليس سوى ابن يـــهودا عمـــانوئيل المفقود منذ زمن. ومن البديهى أن يساعد الأب ابنه على إعادة بناء ثروته المنهارة. وفى الوقت ذاته يتغلب سولومون على حبه لشيفرا، وتتزوج هى من أحد أبناء مدينتها، وهو تابع سابق لحركة الحسيدية، أما الآن فهو أحد أتباع حركة الهسكلاه، والذى اتضح أنه ابن لطبيب مشـــهور، وأن هـــذا الطبيب صديق ليهودا عمانوئيل.

رابعا: قراءة تشريحية للمرأة فى الرواية

الروايات التى وقع عليها الاختيار لعرض هذا البحـــث قـــد كتبـــت بهدف الإصلاح، والعنصر الاجتماعي المتضمن فيها متذبذب، فهو يحتـــل أحيانا مكان الصدارة، ويتضاءل فيغدو ثانويا أحيانا أخرى، ولكنه نـــادرا ما يتخلف. ولقد استطاعت هذه الروايات أن تكشف عن الضغوط الداخليـة والخارجية الفاعلة فى المجتمع اليهودى، ومعاناة الجالية اليهودية تحـــت النظام البيروقراطى الروسى غير المتعاطف من ناحية، والضغط الداخلـى الذى تمارسه القيادة اليهودية المتعصبة من ناحية أخرى، كما عكست هذه الروايات اهتمام الكتاب الواضح بضرورة اكتساب المعرفة الدنيوية إلـــى جانب الثقافة الدينية اليهودية، كما أشارت هذه الروايات إلى أن اكتســـاب هذا النوع من المعرفة أحرى به أن يؤدى إلى التخفيف من وطـــأة الفقـــر الشديد، وأنه سوف يفتح أمام اليهود ســـبل الكســـب الشـــريف والحيـــاة الكريمة(٥٧).

لقد كان وضع المرأة واحدا من جوانب الحياة الاجتماعية التى تكرر طرحها خلال هذه الروايات. فالقارئ يلحظ اهتماما جادا بكرامة المرأة

---

(57) David Paatterson, The hedrew Novel in Czarist, p> 130 Op Cit., 151- 52, 187.

ومكانتها كما تتضمن هذه الروايات شهادة واضحة على تدني مكانة النساء بشكل عام في المجتمع اليهودي آنذاك .

فبينما لقي تعليم الرجل عناية فائقة من المجتمع وجدنا أن تعليم المرأة قد أهمل إلى حد كبير ، ما عدا بعض الحالات الاستثنائية . وقد استمر هذا الحال إلى العصر الحديث[٥٨]. فكون المرأة قادرة على أن تؤدي صلاتها بالعبرية وتكتب باليديش فإن ذلك كل ما هو متوقع من أم يهودية[٥٩] لذلك ظلت المرأة في جهل تام تقريبا . والجهل صفة يسهل ربطها بالغباء .

وقد تسبب هذا في خلق الاعتقاد بأن النساء أدنى منزلة من الرجال في الذكاء ويبدو أن معشر النساء قد قبلن هذه الفكرة .

أظن أن الوقت قد حان لأن أبسط بعض الأمثلة التي يمكن أن تساعدنا على تكوين صورة جيدة لوضع المرأة في هذه الروايات . من الجزء الثاني من روايته الأولى "التائه في دروب الحياة" يقدم لنا سمو لنسكين المثال التالي : وهو عبارة عن نصيحة مسداة إلى يوسف بطل الرواية من قبل رجل التقاه في قرية كان يتجول فيها ، يقول الرجل ليوسف ما يلي:

النساء لا يصلحن للتجارة ولا لتأليف الكتب ولا لمجالسة رجال الدولة ، وذلك لأنهن ثرثارات وربما خرجت أحيانا من أفواههن كلمة حق (بمعنى آخر : النساء لا يحفظن الأسرار) دون قصد - لذلك لا تكن كالمرأة[٦٠].

---

(٥٨) الرجع السابق .

(٥٩) Jacob S Raisin. The Haskalah Movemen in Russia (Philadelphia. 1913) P.46

(٦٠) ج٢، ص ١٥٠.

وإليكم مثلا آخر من رواية سمو لنسكين الثانية "قبر حمار" وفيه يصف الكاتب نقاشا بين اثنين من "البطلانيم"[٦١] في الكنيس حول منزلة النساء . البطلان حاييم يروحام يتفوه بالعبارة التالية :

"إنها أغلى من الذهب"[٦٢] والعبارة لا تخلو من غموض لأن السامع لا يعرف على وجه التحديد ما إذا كان المراد بالضمير "ها" في "إنها" الإشارة إلى جماد أو إلى إنسان والحقيقة أن حاييم يروحام بقوله "إنها" كان يعني التوراة .

أما البطلان الثاني حشافيا بعل محشفا فقد فهم أن المراد بالضمير "ها" المرأة . وقد قاده إلى سوء الفهم هذا أنهما كانا يتحدثان في موضوع زواج أحد طلاب "اليشيفا" وهو حاييم يعكوف من استير حفيدة ربي غيتسل شمرياه ، جابي الضرائب ورئيس جمعية دفن الموتى في البلدة . لذا نظر حشافيا إلى صاحبه باستغراب وتساءل : "أو هي أغلى من الذهب؟ ثم أضاف:"كل النساء نساء وليس بينهن من تستحق أن يقال عنها إنها أغلى من الذهب" ولما أدرك حاييم يروحام أن كلامه قد أسيء فهمه أجاب مبتسما: "أأنا أجعل قدر النساء فوق قيمة الذهب؟ أنا أعرف قدر النساء ، ولو أطاعتني الريح لذهبت بهن جميعا ، لكنني قلت في شأن التوراة إنها أغلى من الذهب" .

مثل آخر من رواية برودیس "الدين والحياة" يؤكد ما سبق . الشخص المعني بذبح الذبائح يقع تحت هجوم من مريام ، زوجة جابي الضرائب . فهي تتهمه باللامبالاة تجاه مصائب الآخرين . وقد عزت

---

(٦١) بطلانيم جمع بطلان ، وهي تطلق على الرجل اليهودي الذي تفرغ لدراسة التوراة تاركا وراءه زوجته وأولاده وبيته . وقد درجت الجالية اليهودية منذ العصور الوسطى على الاحتفاظ بعشرة بطلانيم توفر لهم الأكل واللبس والسكن لقاء قيامهم بهذه المهمة .

(٦٢) المصدر السابق نفس الموضع .

لامبالاته هذه إلى كونه يتلقى أجره كاملا سواء أكانت الذبيحة صالحة للأكل أم كانت غير صالحة للأكل . ظل الرجل صامتا حتى سمع الجزار يقول لمريام "أنت على حق ، أقسم بحياتي أنك على حق" عندئذ التفت إليه الجزاروقال : "وما شأنك أنت؟ وكون البهيمة صالحة للأكل أم لا ؟ وإذا تكلمت مريام أليست لأنها أمرأة؟ ولأن قلبها محزون على فقد نقودها؟[٦٣]".

النساء يرين أنفسهن دائما من خلال عيني الرجل،والكثيرات منهن لا يرين لأنفسهن سوى دور المعيل . هذا الدور يمكن أن يكون مبعث سرور كبير إذا كانت المرأة زوجا لرجل علم ، تقوم بإعالته بفخر رغبة في تحقيق السعادة لهما معا في المستقبل[٦٤].

حول هذا الدور بالذات دارت أحلام إستير بطلة رواية "قبر حمار" التي كانت تأمل في جمع شملها بزوجها المنفي ، كما حلمت به مثابرا على الدراسة وصيرورته إلى حاخام كبير ، وذلك أمر يكفي أن يجعل جدها يمنحه العفو . وسوف يرفع هذا الأمر منزلتها بين النساء . وسوف يقفن احتراما لزوجة الحاخام عندما تدخل مصلى النساء في الكنيس[٦٥].

النساء يدركن أنهن الجانب الأضعف في المجتمع ، وأن الفرص المتاحة لهن في الحياة محدودة ، وبعضهن يعربن عن عدم رضائهن عن هذه الفكرة ، وبعضهن يكتفين بمجرد قبول فكرة الرجل عن تفوقه عليهن. فراحيل في رواية "آباء وأبناء" تقول لأخيها شمعون ما يلي:

---

(٦٣) ص ٦٥ .

(64) Mark Zborowski and Elizabeth Herzog op Life is with People (New York. 1974). P. 141.

(٦٤) ص ١١٠.

أنت رجل وأنت قادر على أن تفعل ما يحلو لعينيك إن أردت أن تدرس، فتعال وادخل هذه المدرسة أو تلك . العالم كله بين يديك ، أما أنا فلست إلا امرأة ليس بين يديها سوى بيت أبيها في طفولتها وبيت زوجها (عندما تتزوج) . ما أنا ؟ وما مصيري؟ أواه يا أخي . إنني في كرب عظيم[٦٦].

مريام ، أيضا ، من رواية "الدين والحياة" تقول للجزار:

"على الرغم من أني امرأة إلا أني أعلم جيدا في قرارة نفسي أن هؤلاء الرجال أكثر منك صوابا[٦٧].

حياة المرأة اليهودية كما تصورها كل هذه الروايات تقريبا هي الآتية: زواج مبكر ، أو زواج مثالي من فتى متخصص في التلمود من أسرة محترمة دون اعتبار لسن الزوج أو حالته المادية . العروسان لا يستشاران ، ولا يوضع لرغباتهما أدنى اعتبار . إفرايم في رواية "آباء وابناء" لمندله موخير سيفاريم يثور غضبا عندما تخبره زوجته سارة بأن ابنته تشترط رؤية من يريد الزواج منها قبل أن تتم خطبته لها :

-هذا ما تقوله راحيل ، ولكن من ذا الذي سألها عما إذا كانت تريد أو لا تريد!؟ . قال إفرايم دون أن ينظر إلي ابنته.

-يمكنها أن تجلس في حجرتها بينما نتفق على الشروط .

-لا ضير في أن تتكلم يا إفرايم . أجابت سارة وهي تزفر وتهز برأسها .

عندئذ التفت إفرايم إلى ابنته موبخا:

-يجب أن تخجلي من نفسك - ثم بصق في وجهها .

---

(٦٦) ص ١١٠ .

(٦٧) ج١ ص ١٢٠ .

-هذا لا يليق بفتاة صغيرة ، لا يليق بفتاة صغيرة أن تقحم نفسها في مثل هذه الأمور .

-هذا غير لائق بالتأكيد غير لائق ! ... ما شأنك أنت والعريس ؟ ياللعار!

... ألى أين تسير الأمور ؟ كم تغيرت الأيام ... ما أبشع هذه الأيام التي نعيشها![٦٨].

قرار الطلاق أيضا ، يتخذ دون اعتبار لرغبة الزوجين . فهذا ربي غيتسيل شمرياه وزوجته ، من رواية "قبر حمار" قد اختارا حاييم يعكوف زوجا لحفيدتها اليتيمة إستير ، ولكنهما اكتشفا ، بعد اليوم الثاني لحفل الزواج ، أن صهرهما لم يكن رجلا تقيا . لذلك قرر ربي غيتسيل وزوجته أن يفرقا بين حاييم يعكوف وزوجته، على الرغم من أن الشابين يحب كل منهما الآخر ، وعلى الرغم من إصرار القاضي على التأكد من موافقة كل من الزوج والزوجة على الطلاق[٦٩].

بعد الزواج يتعين على والد العروس أن ينفق على الزوجين الشابين إلى أن تصبح الزوجة قادرة على فتح دكان أو فندق، بينما يتابع الزوج دراسته في أحد معاهد التلمود بحرية تامة . ولعله يحسن بنا هنا أن نذكر حديثا دار بين اثنين من أبطال رواية "المنافق" وهما يراحميل واحد طلاب "اليشيفا" ويدعى كالونيموس الذي التقاه يراحميل في طريق عودته إلى بلدته . وفي هذا الحديث يذكر كالونيموس الأمور التي من شأنها أن تبعث الرضا في نفس الرجل عن المرأة ، واكتفى هنا بذكر واحد منها . يقول

---

(٦٨) ص ص ١١٣-١١٤

(٦٩) ص ص ٥١-٥٧

كالوينموس مخاطبا يراحميل المراة الفاضلة هي التي تستطيع أن تعيلك بينما تتفرغ أنت لتحقيق النجاح[٧٠]. والمقصود بالنجاح في حديث كالوينموس هو النجاح في مضمار الدراسة والتحصيل العلمي .

مرد خاي ، والد زوجة يراحميل ، يطرح معادلة مهمة ، فعند استقباله زوج ابنته يؤكد أن ما حققته ابنته من نجاح كمديرة للفندق يساوى جهد زوجها في دراسته للتوراة[٧١].

وإذا كان تولي المرأة مسؤولية إعالة أسرتها وترك الزوج يتابع الدراسة صفة من صفات المرأة الفاضلة في أعين الذكور من اليهود في تلك الأيام الخوالي ، فإن الأمر لا يقل خطرا عنه في أعين الإناث من اليهوديات، فقد كانت إناطة كسب العيش بالمرأة مدعاة فخر واعتزاز عند نساء الجيل القديم، فهذه لينة ، في رواية "الدين والحياة" تشعر بالندم إذ لم تزوج أبناءها الثلاثة الكبار من نساء بدينات (والمقصود بالبدانة هنا الصحة الجيدة) ولو فعلت ذلك لتولت النسوة مسؤولية كسب العيش، ولوجد أبناؤها الوقت الكافي لدراسة التوراة ، ولكن زوجات ابنائها ، لحسرتها الشديدة ، يجلسن في البيت كالنبيلات . لذلك لا يعرف أي من ابنائها كلمة عبرية واحدة لأن كواهلهم مثقلة بمسؤوليات إعالة أسرهم . لذا قررت أن تزوج ابنتها من رجل عاكف على دراسة التوراة ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ابنيها الأصغرين، عقدت لينه العزم على البحث عن امرأتين عاملتين كي لا تفوتهما فرصة الدراسة في معهد التلمود[٧٢].

---

(٧٠) التافق ، ص ٦٦.

(٧١) نقص الرواية ، ص ١٠٧

(٧٢) ح ١ ، ص ٧٢ .

الكاتب ، على أية حالة ، لا يشاطر لينة وجهة نظرها هذه ؛ فهو لا يرى في أسلوب الحياة هذا ، وهو أن تقوم المرأة بتأمين عيش اسرتها بدلا عن زوجها ، علامة على مجتمع جيد . بل إن هذا الأمر يذكره بما جاء في الأساطير اليهودية عن معاناة اليهود في مصر . فقد عانوا لأنهم بدلوا سنة الحياة حيث أوكلوا عمل الرجال إلى النساء وعمل النساء إلى الرجال[٧٣]؛ وذلك عين ما كان يفعله اليهود في لثوانيا . فقد صيروا المرأة رجلا حيث جعلوها تتكفل بمصروفات بيتها ، وإطعام أطفالها . وكسوة الذكور من أفراد أسرتها . أما الرجل فهو يعامل باحترام كبير في بيته ، مثل أبنة الملك فهو يترك لينام على فراش الكسل ، ويرسلونه إلى معهد التلمود ، ويعطونه قوت يومه من عناء يدي امرأته : المرأة تطعم الرجل ، والبنات يطعمن البنين[٧٤].

تأكيد الجانب العاطفي من الشخصية يبدو واضحا في هذه الروايات. الحياة كما ، يؤكد هؤلاء الكتاب ، يجب أن تعاش بشطريها المادي والروحاني ، إذا أريد منها أن تكون تجربة ذات معنى . فقد أكدوا دائما أهمية حرية التعبير عن العاطفة ؛ ولهذا الأمر مسؤولية جزئية في كون الحب يلعب دورا مهما في هذه الروايات .

الحب في نظر اليهود كان دائما أمرا يتعلق بالله ، لذلك وجدنا أبناء الجيل القديم ، كما تصورهم هذه الروايات ، ينبذون فكرة الحب العذري . فإذا عرف عن رجل أنه يهوى امرأة عد ذلك عيبا فيه . لفظة

---

(٧٣) مدراش ربا على سفر الخروج ، الفصل الأول / مدراش رقم : ١٢ .

(٧٤) الدين والحياة ، ج١ ص ٧٣ .

"الحب" يجب ألا تدور على ألسنة بني اسرائيل لأن ذلك من سجايا الأجانب .

ولعل الأمثلة التالية تعيننا على توضيح هذه الفكرة : في رواية "قبر حمار" قد أشرت آنفا إلى تدخل ربي غتيسل في حياة حفيدته ومحاولته تطليقها من زوجها . واستنادا إلى رأيه ارتكب زوج حفيدته إثما عظيما بحديثه صراحة عن حبه لزوجته في اليوم الأول لزواجهما . كان ذلك كافيا بأن يثير حفيظة الحاخام . كما أن زوجته لم تكن أقل منه اهتماما للأمر وشعورا بخيبة الأمل . التفتت إلى الحاضرين في الكنيس وتساءلت مغضبة ومستنكرة :

أسمعتم كلام ابن الفاعلة هذا؟ ... لقد قال إنه يحب زوجته ، ويوم أمس كان زفافهما !! يوم أمس كان الزفاف واليوم يقول جهارا إنه يحبها ! أو يسمع مثل هذا في البلاد اليهودية؟ ، أن رجلا يقع في حب زوجته بعد يوم فقط من الزفاف ! ويحي ! ويح نفسي إذ تسمع أذناي مثل هذه الكلمات ! هذه نهاية العالم ! زوجي ربي غيتسيل لم يحبني ولم يكلمني مدة خمس سنوات بعد الزفاف ، وقد أعقبت منه اثنين أو ثلاثة من الأبناء وهذا المارق يقول على مسمع من الناس وبوقاحة وفي الكنيس إنه يحب زوجته ولم يمض على الزفاف سوى يوم !؟

يوسف بطل رواية "التائه في دروب الحياة" تطلب منه شيفرا ، ابنة سيده ، أن يعطيها دروسا في اللغة الإنجليزية ؛ فأراد يوسف أن يغتنم الفرصة ليبث الفتاة أشواقه ، ولكنه ما أن فعل ذلك حتى جاء ردها على غير ما توقع ومخيبا للأمل . فقد بدا عليها الخوف وانفجرت باكية.

طلب منها أن توضح موقفها هذا مما قد تفوه بن من كلام فأجابت بما يلي:

لا تتحدث عن أمور مخيفة كهذه .. نحن بنو اسرائيل ، فكيف نتحدث عن الحب كالأجانب . هذا أمر لا يجوز أن يحدث .

فرد يوسف :

أهو إثم في رأيك إذاً؟ فإن كان إثما فلم جعل الخالق الحب في قلوبنا؟ ولماذا تقولين إنه لا يليق باسرائيلي أن يتفوه أمورا كهذه؟ أهو مجبر إذاً على أن يخفي مشاعره في قلبه ، وأن يتحدث عن أمور لا يحس بها قلبه؟ أهذا خلق المرء من بني إسرائيل؟ .

فردت على نقد يوسف قائلة :

لقد علمنا حكماؤنا كيف نتغلب على الشهوة ، وقد كانوا محقين إذ علمونا هذا القانون لأننا إذا تحدثنا بكل ما يخطر لنا على بال ، فمن ذا الذي يضمن (حرفيا : من ذا الذي يعلم) أننا لن نلغي مخافة الله ، وأن نتعدى حدوده ، لكنني أتوسل إليك ألا تعود لمثل هذا الحديث ثانية[٧٥].

انتهى النقاش ولكن دون أن يفلح يوسف في أن يغير من موقف شفرا تجاه قضية الحب . وأخيرا يصل إلى النتيجة التالية:

ليس الذنب ذنبها حين تتخذ موقفا كهذا من الحب، فبنو إسرائيل قاطبة يعتبرون الحب خطيئة ، وخصوصا أولئك القوم الذين على شاكلاتها ممن نشأوا في بيئات متزمته[٧٦].

---

(٣٥) التائه في دروب الحياة ، ج ٣ ، ص ص ١١٦-١١٨ .

(٣٦) المصدر السابق . نفس الوضع .

وإفرايم في رواية "آباء وأبناء" يعبر عن أفكار مشابهة لأفكار شفرا، فهو يشكو لزوجته سلوك ابنهما المشين الذي بدأ يتحدث عن افكار محتقرة . يقول إفرايم بسخرية وخيبة أمل مرة ، مخاطبا زوجته :

أليس هذا هزلا يا سارة؟ صغيرنا هذا مغرم ! وبمن؟ بدينا! انظري ، فهذا أمر جديد - نحن اليهود مجبرون على أن نحب ! إنه لعار أن يتلفظ المرء بمثل هذه الكلمة .

بصق أفرايم ثلاث مرات كما لو كان ينظف فاه من مادة كريهة ثم أضاف قائلا :

أهو أمر هين أن يتحدث بوقاحة ويقول : إني أعشق دينا بشدة !! أتسمعين؟ إنها دينا التي يعشق بشدة ... وما الذي يجده في دينا، ربما كنت تعلمين؟ دينا فتاة كسائر الفتيات، ومن من بني إسرائيل من يعبأ بفتاة[٧٧]؟

ربي حاييم في رواية "الدين والحياة"، له رأي آخر في الحب، فقد أخبرته زوجته ليئة أن ابنتها حنة (ابنتها من زواج سابق) قد رأت الشاب المتقدم لطلب يدها للزواج ولكنه لم يعجبها، فرد ربي حاييم في الحال مغضبا:

لقد تماديت في هذا الأمر ياليئة . كفي عن ترديد كلام فتاة صغيرة غير مدركة . الحب والكراهية أمران متعلقان بالطعام والشراب ، أنا أحب اللحم مطبوخا ولكن ربما أحبه غيري مشويا ، أو الزبدة وهي شئ طالما كرهته أنا ، وربما أحبها شخص آخر . ولكن الأمر ليس كذلك مع

---

(٧٧) ص ١٦.

العريس والعروس ، وما شأنهما والحب ؟ ليتزوجا وليكونا جسما واحدا وليعيشا كسائر البشر في العالم[٧٨].

° ° °

إن للمعتقدات والشعائر الدينية دخلا في تكييف الحياة الاجتماعية للجالية اليهودية في شرق أوروبا في القرن التاسع عشر . فقد حددت هذه المعتقدات والشعائر شكل سلوك الفرد والجماعة .

فإذا كان الرجل في ذلك المجتمع قد وجد حياته قاسية وأشق من أن تعاش مما دفعه إلى الثورة عليها والقيام بحركته التنويرية ، فإن المرأة قد وجدت حياتها أكثر قسوة . فقد عانت القيود القانونية الناشئة عن التفسيرات القاسية للقانون اليهودي من قبل رجال الدين اليهود .

في رواية "قبر حمار" تقتحم إستير اجتماعا في الكنيس وتتهم أحد الرجال المجتمعين بأنه كان وراء نفي زوجها من القرية كما تتهمه بمراودته إياها عن نفسها أثناء غياب زوجها . ولكن الرجل لم يبد عليه أنه اكترث لما سمع، واكتفي بنفي التهمتين عن نفسه ببساطة، كما أعانه رجل آخر سارع إلى الاستشهاد بنص من المشنا فقال : "المرأة ليست أهلا الشهادة"[٧٩]. فما أن سمعت المرأة الشابة هذه العبارات حتى أيقنت بأنها قد خسرت القضية[٨٠].

وفي رواية "التائه في دروب الحياة" يروي سمولنسكن قصة عن امرأة عوقبت في أحد الأماكن العامة إثر إتهامها بارتكاب الفاحشة .

---

(٧٨) الدين والحياة ، ج١ ، ص ٢٠٦ .

(٧٩) روش هشنا (عيد رأس السنة) الفصل الأول ، مشنا ، رقم : ٨.

(٨٠) ص ١١٧.

فقد أحضرت المرأة بوساطة اثنين من رجال الشرطة بين يدي رئيس الطائفة اليهودية الذي أمر بأن تعرى من ثيابها . طلب منها رئيس الطائفة أن تقر بذنبها ، لكنها أجابت بأنها لم تقترف ذنبا ، فضربها الشرطيان ضربا مبرحا . ولكن الفتاة المسكينة خشيت أن يودي التعذيب بحياتها ، لذلك لم تجد بدا من قبول التهمة فأقرت بذنب لم تقترفه . فجيء بها أخيرا إلى فناء الكنيس في ثياب رثة ثم نصبت واقفة فوق خوان وقد أحاط بها جمهور من الرجال والنساء والأطفال لتكون عبرة لكل من يراها ، ولكي تجعل قلوب النساء ترتجف،ويكون ذلك درسا لكل من تسول لها نفسها الانحراف عن الطريق المستقيم[٨١].

وعقوبة المرأة المشكوك في ارتكابها خطيئة الزنا هذه ، تبدو ، على أية حال ، مخالفة للعقوبة المنصوص عليها في "سفر العدد" (اصحاح ٥ الآيات : من ١١ إلى ٣١) . لكن أعقد مشكلة كان يتعين على المرأة المتزوجة أن تواجهها بعد وفاة زوجها هي مشكلة الـ "يبوم" والتي تعنى : زواج المرأة من حميها (أخي زوجها) . والقضية تتلخص في أمر نص عليه الكتاب المقدس ويقضي بأن تتزوج الأرملة من أخي زوجها الذي توفي ولم يعقب ابنا ذكرا (سفر التثنية : اصحاح رقم ٢٥ : الآيات من ٥ إلى ١٠) وزواج الأرملة من أخي زوجها أمر لا تملك حياله رفضا ، حتى لو كان لها أبناء من زواج سابق ، فالسبب الجوهري الموجب لمثل هذا الزواج هو وفاة الزوج دون أن يعقب ابنا ذكرا ، وبناء على ما تقدم فإن وجد ابن للزوج بعد وفاته ، ويستوى الأمر في ذلك إن كان الابن من زواج شرعي أو من سفاح (ويستثنى من ذلك ابنه من غير اليهودية) فإن الزواج من أخي

---

(٨١) ج ١ ص ص ٨٥ - ٩١

المتوفي لا يتم . وواجب الدخول في هذا الزواج يقع على إخوة المتوفى لأبيه (ولكن ليس على إخوته لأمه) ومع أن هؤلاء الأخوة متساوون في المسئولية القانونية تجاه هذا الزواج إلا أن الأفضلية تعطي لأكبرهم (الذي يمكنه أن يتحلل من هذا الواجب إذا تطوع أخوه الأصغر) . وفي حالة نشوء عقبة قانونية في طريق هذا الزواج ، كأن يمتنع أخو المتوفى عن أداء هذا الواجب ، أو ترفض الأرملة الزواج من حميها ، أو إذا رؤي أن هذا الزواج سوف يكون أمرا غير محمود العواقب لأسباب غير التي تقدم ذكرها ، يعقد حينئذ طقس ديني يسمى "حليتصا" (لفظة عبرية وتعنى : نزع ، خلع أو خلاص) . فالأرملة بناء على ما سبق أمام أحد خيارين : إما الزواج بأخي زوجها المتوفي ، أو تنفيذ شعائر طقس "الحليتصا" . ولكن الأرملة قد تعفى من أداء أي من البديلين السابقين إذا ثبت أنها غير قادرة على الانجاب . أما ما يتعلق بالـ "حليتصا" فإن تنفيذ هذا الطقس يجب أن يتم أمام محكمة مؤلفة من خمسة أشخاص ، ويجري الطقس على النحو التالي : تقرأ الأرملة الآيات المتعلقة بالموضوع من الكتاب المقدس وهي ذوات الأرقام : ٧، ٨، ٩ ، ١٠ من الإصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية ، ثم تقوم بنزع نعله اليمنى علامة على احتقار وتوبيخ لمن جلب العار على نفسه، وذلك بتقاعسه عن أداء واجب إحياء اسم أخيه . وبعد الانتهاء من أداء هذا الطقس فإن الأرملة لا يجوز لها أن تتزوج لا من أخي زوجها الذي شاركها في تنفيذ الـ "حليتصا" ولا من أي من إخوة زوجها الآخرين، وهي عندئذ حرة في أن تتزوج بمن تشاء[٨٢].

---

(٨٢) انظر (Halilzah) في Encyclopaedia of Jewish Religion. pp. 238-39

من روايته "الدين والحياة" . راحيل البطلة الثانية في الرواية ترملت منذ عهد قريب . تودروس والد زوجها ؛ وهو رجل به لوثة ، كان قد طلق زوجته منذ عهد بعيد وهي حامل ولا يعلم ما إذا كان المولود الذي وضعته مطلقته ذكرا أم أنثى ، كما أنه لم يعد يذكر القرية التي كانت زوجته الأولى تقيم فيها . ولما كان احتمال وجود طفل ذكر على قيد الحياة قائما لم يؤذن لراحيل بالزواج مرة أخرى حتى يتنازل حموها الافتراضي الوجود ، عن حقه في الزواج منها .

وما إن سمعت راحيل بشخص يدعى شموئيل، الذي أخذت شهرته تتعاظم كأحد رجال الإصلاح، حتى جاءت إلى القرية التي يقطنها وحيث يقيم أخوها يتسحاك إفرات ايضا، والذي تم تعيينه منذ عهد قريب مدرسا في مدرسة حكومية . تتعرف راحيل شموئيل ، وتقنع أخاها بأن يفتح مدرسة خاصة للأطفال اليهود ، وأن يعين شموئيل مدرسا للموضوعات اليهودية، وكان لراحيل ما أرادت . ولما كانت هي أيضا مدرسة في المدرسة ذاتها فقد كان من الطبيعي أن يتكرر لقاؤها بشموئيل ثم نشأ من هذه المعرفة قصة حب .

يبدأ شموئيل بإعداد نفسه لخوض المعركة نيابة عن راحيل بغية تخليصها من وضعها البائس ، لكن مشكلة بدأت تلوح في الأفق ، فقد ظهر على مسرح الأحداث في تلك القرية شاب يدرس في "اليشيقا" يدعى هابرزي الذي اتضح أنه يهوى راحيل أيضا . وعن طريق صداقة يعقدها هابرزي مع والد زوج راحيل المتوفي يعرف قصة حياة تودروس، ولما كانت ظروف ميلاده مشابهة لتلك التي يذكرها تودروس ، فقد وجد الفرصة

سانحة لأن يدعى أنه أخو زوج راحيل المتوفى ، ثم يطالب بحقه في الزواج من راحيل على الرغم من أنها تبغضه . عندئذ يمثل شموئيل أمام الربانيين مدافعا عن راحيل . ويبدأ دفاعه عنها بالطعن في شهادة تودروس المدمن للشراب من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبه على أن زواج الرجل من ارملة أخيه الذي لم يعقب ابنا ذكرا قد توقف العمل به . اضافة إلى ذلك فالطالب ، وإن افترض أن ادعاءه صحيح ، يجب أن يجبر على أن يخلي سبيل راحيل،وذلك بإقامة طقس الـ "حليتصا" وتتوقف الرواية عند هذه النقطة ولم يكتب لها أن تكتمل .

° ° °

إنه لأمر طبيعي ألا يقف تأثير البيئة المسيحية المحيطة على وضع المرأة اليهودية في المجتمع وأمام القانون فحسب ، بل يتعداه إلى الجوانب المادية من الحضارة . ولعل موضوع اهتمام المرأة بمظهرها من أبرز جوانب التأثير الحضاري المادي من حياة المرأة اليهودية في القرن التاسع عشر التي عنى القصاصون العبرانيون بتسجيلها . واكتراث هؤلاء القصاصين بهذا الأمر نابع من كون المظهر هو الجزء البادي للعيان من شخصية الإنسان ، فلربما دل مظهر الإنسان على أمور عدة ، مثل : مكانته الاجتماعية ، أو بيئته ، أو مهنته أو الصنعة التي يحترفها . أو ربما كان دليلا على حظه من التحرر أو التزمت أو الاعتدال . والمظهر بالنسبة للمرأة يحتل مساحة من التفكير أكبر من التي يحتلها من تفكير الرجل . ويبدو أن رواية "المنافق" لأبراهيم مابو أكثر الروايات احتفالا بأوصاف النساء وأزيائهن . ففي أحد المواقف يقول الراوي ما يلي : "لقد مر عهد طويل على ارتداء

النساء اليهوديات الزي الألماني"[٨٣] كما اهتم مابو في بضعة مواضع أخرى من نفس الرواية بذكر أسماء الملابس النسائية كما يتضح من الأمثلة الآتية:

"... وكانت ترتدي ثوبا صوفيا مطرزا ، وتعتمر قبعة غالية الثمن..."[٨٤] وترتدي برنسا باهظ الثمن..."[٨٥] ويقول في وصف امرأة اخرى : "ثوبها مفصل حسب الذوق الرفيع ويغطي شال من الصوف الخالص شعرها المجدول ضفائر المثبت بمشبك"[٨٦] ولكن الموضع الوحيد الذي فصل فيه الكاتب الحديث عن ملابس النساء كان ذلك الموضع الذي قدم فيه شخصية أسنت ، فقال:

وبينما كان يتكلم دون وعي كالثمل ، فإذا بامرأة مسنة تدخل . على خدها ثؤلول نبت عليه شعر ، وعلى رأسها شال تدلي طرفاه الموازيان لطرفي خمارها ، تعتمر عباءة بيضاء وتنتعل صندلا ذا مسامير ، تحدث صوتا اشبه بصوت المطرقة عندما تمشي على أرض الغرفة المبلطة. كل ملابسها تذكر المرء بجيل قديم جدا . قبل أن تلبس بنات اسرائيل الزي الألماني ، ولذلك فهي تلفت الأنظار إليها أينما ذهبت ، ويلتف حولها الأطفال ، وسر ذلك يرجع إلى غرابة ملبسها وما تقدمه يداها[٨٧]...

وأسنت هنا تمثل عالما يهوديا آخذا بالإنقراض ، ولكنه يصارع من أجل البقاء . فقد ظلت وفية للماضي في مجتمع يتغير بسرعة ، فكانت تبدو غريبة وشاذة في مظهرها بين ابناء طائفتها ، وهذا يبدو واضحا من

---

(٨٣) ص ١٨٧.

(٨٤) ص ٩٩ .

(٨٥) ص ١٠٤.

(٨٦) ص ١٠٤ .

(٨٧) ص ١٧٩.

السطرين الأخيرين من وصف الكاتب لها . كما يؤكد ذلك اعتذارها لزيرح ، الذي ظهر فجأة في بيت عوباديا وقطع حديثها مع زباديا . فقد اعتذرت إليه لعدم تعرفها إليه ، وكان لها في ذلك اسباب هي:

أهذا هو ابن جعال ... إن الصغار يكبرون وينسون اسنتُ التي طالما قدمت لهم الأشياء المفرحة التي تبهج نفوسهم . وهآنذا الآن لم استطع أن أتعرف إليك لأن وجهك قد صار نحيلا وملابسك ليست كملابس المشتغل بالعلم، فهذه الأيام ليست كأيام فتيان بني اسرائيل الخوالي ، فقد قصروا ثيابهم قليلا على أية حال ، الله ينظر إلى القلب ، ولكنهم ملزمون بألا يعروا رؤوسهم[٨٨] ...

وعند إعادة النظر في عبارة أسنت الأخيرة يدرك المرء أن هذه الشخصية ليست شخصية هامشية ، وإنما هي رمز للجيل القديم من أبناء الجالية اليهودية، فهي تدرك أن رياح التغيير التي تهب على جاليتها لا سبيل إلى صدها أو تغيير اتجاهها . ولذلك فهي تقول : "على اية حال ، الله ينظر إلى القلب..." ولكن استسلام أسنت إلى الأمر الواقع ليس مطلقا ودون قيد أو شرط ، إذ أن لكل أمر حدوده ، وإن من الأمور ما لا يمكن أن يطرح جانبا أو يساوم عليه . ولذلك فهي تقول : "ولكنهم ملزمون بألا يعروا رؤوسهم".

والحديث عن الأزياء النسائية يؤدي بطبيعة الحال إلى الحديث عن أوصاف النساء ومقاييس الجمال . ولعل أهم ما يلفت نظر القارئ في اسلوب رسم أبراهام مابو للشخصيات النسائية في قصصه أنه يعتمد مقياسين مختلفين للجمال لنمطين مختلفين من النساء . فهو عندما يتصدى

---

(٨٨) نفس المصدر نفس الموضع .

لوصف امرأة غير البطلة ، يلجأ إلى عالم الواقع ليختار من الأوصاف ما يعكس ذوقه هوىأو ربما ما هو مستحسن في النساء في أيامه . فقد وصف صفنت بالآتي :

لأن صفنت الجميلة ، صاحبة النزل ، اجتذبت إليها كثيرا من الناس بذلاقة لسانها وبقوامها البديع ، فقد كانت ممتلئة الجسم كالفتيات القرويات[٨٩]. كما وصف زوجة البارون وابنته بالآتي :

كانت فيما يقارب الأربعين من عمرها ، بدينة حسنة الخلق أنيقة الملبس . وأما ابنتها لويرا فقد كانت فتاة حسناء ، ممشوقة القوام عقصت خصلات شعرها على هيئة بديعة[٩٠].

ولكن مابو غير منهجه هذا في وصف الشخصيات النسائية عندما تحدث عن بطلة القصة ، حيث اتخذ الوصف طابعا مثاليا . فقد قال عن اليشيبع :

... وها هي ذي تمشي كالراية في جمالها وجلالها قامتها كالنخلة ، وجمالها كالزنبقة ، وقوتها كالسنديانة ، وجبينها الذي يفوق الثلج نصاعة يمتد كدائرة بهيجة على ما فوق عينيها المتلألئتين ، اللتين تنشران الجمال كالسنا ، وذلك لأن كل ما فيها من حيوية الروح كان يشع من عينيها . خداها ممتلئان ، ناصعان ومتوردان ، ووجهها يحاكي بدر التمام، وفي أنفها شمم يناسب روعة قامتها ... خصلات شعرها التي تتوج رأسها مغلقة بالسفاير ومثبتة بمشابك من ذهب . ضفائرها تغطي صدغيها ، وتضفي على قامتها الجذابة جمالا إضافيا . شفتاها كوردتين حمراوين

---

(٨٩) ص ١٨ .

(٩٠) ص ٢٢٥ .

كالأرجوان ، وجيدها من جهة النحر يبدو أملس كقطعة من عاج مصقول[11].

كانت القضايا الآنفة الذكر التي دارت حول مكانة المرأة في مجتمع الجاليات اليهودية في شرق أوروبا ووسطها أهم الموضوعات التي عالجها القصاصون اليهود في القرن التاسع عشر في هذا الخصوص .

ولعل القارئ الكريم قد استطاع في نهاية هذا البحث أن يكون فكرة واضحة عما كان عليه وضع المرأة في المجتمع اليهودي في شرق أوروبا ووسطها قبل ما يزيد عن قرن من الزمان ، وأن يقف القارئ الكريم على ما كان على المرأة أن تتخطاه من عقبات على المستويين الاجتماعي والقانوني قبل أن تسترد كرامتها وتنال حقوقها وتتنسم نسيم الحرية .

وهنا نود أن نسجل أهم النتائج التي يشير إليها هذا البحث .

خامسا الخاتمة :

١- إذا استثنينا حالا أو حالين [في عهد الملكية الأول] فإن صورة المرأة في الكتاب المقدس ، بشكل عام ، لا توحي إلا بحياة تعاني من كثير من القيود الاجتماعية . ودور المرأة ممثلا للوحدة والتآلف الأسري محدد بوضوح ؛ ولم تخرج تقاليد اليهودية الربانية إلا قليلا عما هو سائد في الكتاب المقدس مما تسبب في محافظة المجتمعات اليهودية في شرق أوروبا وغربها على ميراث قوي من القيم المتحدرة إليها من مجتمع الآباء . كما اصبح من المتعذر على المرء أن يصل إلى نتيجة خاصة بتاريخ يهود الشتات وذلك لأن الأهداف والأيديولوجية ودرجة

---

(١١) ص ص ٨٧-٨٨ .

الإلحاح في القضايا المحلية يمكن ان تتفاوت تباينا كبيرا عبر التاريخ . ولكننا على الرغم من ذلك نستطيع القول بأن خلقا كبيرا من يهود شرق أوروبا قد لزموا موقفا متزمتا تجاه المرأة ، وهو موقف لم يختلف في جوهره إلا قليلا عما كان عليه الحال إبان حقب الكتاب المقدس واليهودية الربانية .

٢ - وجدت المرأة في حركة الهسكلاه ، ممثلة في الروائيين اليهود في القرن التاسع عشر ، النصير القوي في كفاحها من أجل التحرر ونيل الحقوق . فقد لقيت المرأة تعاطفا كبيرا من قبل أولئك الكتاب دون استثناء ؛ فقد اعتبروا تحرر المرأة أحد الشروط الأساسية لتحرر المجتمع اليهودي . فالرجل ، وإن كان له دور الريادة والقيادة في البدء بالنهضة وتسيير دفتها، إلا أنه لا يستطيع أن يحقق منفردا نهضة شاملة لأمة بأسرها . فالمرأة نصف المجتمع ، ولا يمكن لمجتمع أن يسير في ركب الحضارة ويسهم إسهاما فعالا في إثرائها، بينما يتخذ نصفه موقفا سلبيا تجاه أفراد النصف الآخر . فقد جاءت الحكايات والحوادث التي تضمنتها الروايات العبرية التي كتبت إبان فترة الهسكلاه معبرة عن آمال وطموحات المرأة اليهودية في شرق ووسط أوروبا، ومشيرة إلى الدور الذي تنتظره منها النخبة من اليهود من أبناء ذلك العصر وتلك البقعة من العالم .

٣ - فالقارئ لتلك الأعمال الروائية يلحظ تركيز القصاصين العبرانين على أمور ثلاثة ، وهي :

أ – الاهتمام الشديد بكرامة المرأة واحترام آدميتها :

فقد نادى اولئك الكتاب بإلغاء القوانين والشرائع التي تحط من قدر المرأة ، كما حاربوا العادات والتقاليد الاجتماعية الذميمة التي جعلت من المرأة إنسانا من الدرجة الثانية .

ب – مساواتها بأخيها الرجل في نيل فرصة التعليم .

لقد أكدت الثقافة التقليدية على واجب الأب في أن يعلم ابنه التوراة ، ولكنها لم تلزم هذا الأب في أن يمنح ابنته فرصة مماثلة ، وذلك بحجة أن عقل المرأة قاصر عن فهم مقاصد قوانين وشرائع التوراة وأن ذلك قد يؤدي بالمرأة إلى الزيغ والضلال .

جـ – حق المرأة في اختيار شريك حياتها :

الزواج عهد ترتبط بموجبه الأرواح على أساس من تقارب في الثقافة واتفاق في المشارب وتشابه في وجهات النظر ؛ أو ربما تعدى الأمر ذلك كأن يجمع الحب بين تلك الأرواح الساعية إلى الارتباط بذلك الرباط المقدس . لذا وجدنا في هذه الروايات النقد الصريح لطريقة الزواج التقليدية ، التي يقوم بموجبها الوالدان بكافة إجراءات ومراسم الزواج دون اعتبار لرأي أو رغبات الزوجين ، والفتاة على وجه الخصوص . ولهذا وجدنا إصرارا شديدا من القصاصين على حرية التعبير عن العاطفة الذي تمثل في ذلك الحشد الكبير من قصص الحب والغرام بين الفتيان والفتيات من أبناء ذلك الجيل .

٤- وعلى الرغم من اهتمام الكتاب الذين تصدى هذا البحث لتحليل أعمالهم، بقضايا المرأة وهمومها ، إلا أن هذا الاهتمام لم يكن متساويا في جميع المواضيع والقضايا . وقد جاء التباين في درجات الاهتمام ومواضعه معبرا

عن اختلاف بيئات الكتاب الاجتماعية ودور كل منهم في الحياة الفكرية اليهودية في فترة الهسكلاه،ففي روايات أبراهام مابو وجدنا اهتمام الكاتب ينصب على دور المرأة في المجتمع وتتبع تفاصيل حياتها ، فهي ربة البيت والزوجة العاملة التي تكد وتكدح لتؤمن قوت أسرتها من ناحية، ولتوفر الوقت كله لزوجها ليتابع دراسته ، وكذلك صورة الفتاة العصرية المقبلة على العلم الشغوفة بالثقافة والتي اصبحت تولي مظهرها قدرا لا بأس به من العناية .

وأما اهتمام مندله موخير سفاريم بقضايا المرأة فقد كان شبه عرضي ، وذلك لأن اهتمامه كان منصبا على تصوير حالة الفقر والبؤس اللتين كانتا أهم ما يميز واقع الجالية اليهودية في شرق أوروبا ووسطها بشكل عام . وقد جاء تعرض مندله لوضع المرأة في المجتمع جزءا من ذلك الاهتمام . ولكننا نجد الكاتب في روايته "الآباء والأبناء" يبسط الحديث قليلا عن الفجوة بين جيل الآباء والأبناء،ويلقي بعض الضوء على الصراع الدائر بين هذين الجيلين نتيجة تعرض المجتمع اليهودي لرياح المدنية الحديثة التي شرعت تهب عليه من أوروبا المسيحية . ومن هذا الباب يلج الكاتب إلى الحديث عن واقع المرأة اليهودية . والفتاة الشابة على وجه الخصوص

أما ثالث هؤلاء الكتاب ، وهو بيريس سمولنسكين فكان أكثر الكتاب تحمسا لحركة الهسكلاه باعتبارها المعبر المثالي إلى الحياة العصرية . ولكن اليهود لم يلزموا موقفا واحدا تجاه حركة الهسكلاه ، بل وجدناهم يتخذون تجاهها مواقف ثلاثة ، هي :

أ - موقف التعصب للثقافة اليهودية ومحاربة من يخرج عليها،أو من يحاول مجرد مناقشة مبادئها،أو حتى من يروج لثقافة أخرى بجانبها في المجتمع اليهودي .

ب - موقف الرفض لكثير من التراث اليهودي لأنه أضحى [من وجهة نظر الرافضين] عائقا في طريق الطامحين إلى حياة عصرية كريمة ومستقبل مشرق .

جـ - موقف الاعتدال : وهو موقف يسعى أنصاره إلى التوفيق بين تراث الأجداد وأفكار ومبادئ الحضارة الأوربية الحديثة : وشخصيات سمو لنسكين عامة والنسائية خاصة لا تكاد تخرج عن موقف الاعتدال ؛ ولعل في موقف المرأة من علاقة الحب بينها وبين الرجل ما يؤيد ذلك . فالمرأة وإن استجابت لتلك العاطفة السامية ، والتي ربما كانت قوية في بعض الأحايين إلا أنها كانت تصر دائما على أن يتم التعبير عنها ضمن حدود الأعراف والتقاليد اليهودية .

وأما رابع هؤلاء الكتاب هو روبين أشير بروديس فكان اهتمامه منصبا على المعوقات القانونية والشرعية التي واجهت المجتمع اليهودي في شرق أوروبا ووسطها نتيجة تعارض الكثير من تعاليم وشرائع الديانة اليهودية مع أفكار ومبادئ الحياة العصرية . وقد آثار ذلك التعارض بين اليهودية وروح العصر الحديث نقاشا بين اليهود وحول حاجة الديانة اليهودية إلى اصلاح ديني . ولم يكن اهتمام بروديس بالصعوبات القانونية والشرعية التي واجهتها المرأة اليهودية في تلك الحقبة إلا جزأ من ذلك النقاش الآنف الذكر . لذا فإن النظرة المتأنية للمشاكل التي واجهها أبطال بروديس بوجه عام وبطلاته بشكل خاص تقوده إلى حقيقة واحدة ، هي : أن تلك المعضلات والمشاكل التي تعكر صفو حياة شخوص قصص بروديس البارزين ليست سوى مجادلات ومناظرات حول قضايا فقهية بين المحافظين ودعاة التحرر من اليهود)لكنها موضوعة في إطار قصصي .

ثبت المصادر والمراجع

أ) الروايات التي أقيمت عليها هذه الدراسة مرتبة حسب تاريخ النشر:

١- الآباء والأبناء (أوديا، ١٨٦٨).

٢ - الحرباء (وارسو، ١٩٢٨) الطبعة الأولى (الجزء الأول - فيلنا ١٨٥٨ - الثاني ١٨٦١ - الثالث، ١٨٦٤) الطبعة الثانية (وارسو ١٨٦٩) طبعت الرواية بأجزائها الخمسة كاملة.

٣ - التائه في دروب الحياة (وارسو، ١٩٠٥).

(الأجزاء ١-٢-٣ نشرت في فينا ١٨٦٨ -)

(الرواية بأجزائها الأربعة نشرت في فينا عام، ١٨٧٦)

٤ - قبر حمار (وارسو، ١٩٠٥) (فينا، ١٨٧٤)

٥ - الدين والحياة (ليمبرغ، ١٨٨٥) (٧-١٨٧٦)

٦ - الطرفان أو (النقيضان) (ليمبرغ، ١٨٨٨)

ب) مراجع تاريخ الأدب والنقد الأدبي:

1. Patterson, David, Abraham Mapu: The Creator of Hebrew Novel (London, 1964).

2. Patterson, David, The Hebrew Novel in Czarist Russia, (1964).

3. Waldstein, Abraham S. The Evolution of Hebrew Literature: 1850 (New York, 1966).

4. Waxman, M. A History of Jewish Literature, (New York, 1960).

1. Baab, O.J. "Women" in The Interpreter's Dictionary of the Bible. (New York, 1979).

2. Brey Fogle, C.M. "The Social Status of Women in the Old Testament", in Biblical World, (Chicago, 1910), Vol. 35.

3. Day, Rev. E. The Social Life of The Hebrew, (London, 1901).

4. Drazin, N. History of Jewish Education, (Baltimore, 1940).

5. The Encyclopaedia of Jewish Religion.

6. Greenberg, Louis, The Jews in Russia: The Struggle for Emancipation, (New York, 1976).

7- Hertz, Dr. H.H., "The position of Women in Judaism, in The Sanctity of the Synagogue edited by B.Livtin. (New York,1959).

8- Montefiore, C.G. and Loewe, A Rabinic Anthology (London,1938).

9- The Authorized Daily Prayer Book (London, 1962).

10- Rainey, A. "Family", in, Encyclopaedia Judaica, (Jerusalem, 1972), Vol. 16, ed. 1167.

11- Raisin, Jacob S. The Haskalah Movement in Russia, (Philadelphia, 1913).

12- Zborowski, Mark and Herzog, Elizabeth, Life is with People (New York, 1974).

13- Zinberg, Israel. A History of Jewish Literature (New York, 1978).

المصادر الدينية اليهودية:

١- التلمود البابلي Hebrew-English Edition of The Babylonian Talmud (London, 1989).

١- الكتاب المقدس

أشرف على إعداده وطبعه السيد Norman Henry & naith (London, 1972).

٢- مدراش ربّا (أورشليم، ١٩٧٥).

٣- المشنا:

شيشا سدري شنا (أورشليم: تاريخ الطبع غير مذكور).